

(سبائك العسجد)

في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد

١٧٥٦م - ١٨٠٩م

تأليف

عثمان بن سند

١٧٦٦م - ١٨٢٧م

عادل محمد الزنكي

**سبائك العسجد
في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد
(١٧٥٦ - ١٨٠٩م)**

**تأليف : عثمان بن سند
(١٧٦٦ - ١٨٢٧م)**

عادل محمد الزنكي

**الطبعة الأولى
٢٠١٨م - الكويت**





صاحب السمو الشيخ / صباح الأحمد الجابر الصباح
حفظه الله ورعاه
أمير دولة الكويت
قائد الإنسانية





سمو الشيخ / نواف الأحمد الجابر الصباح
حفظه الله
ولي عهد دولة الكويت



المؤلف في سطور

المؤرخ الكويتي الأصيل عثمان بن سند، مسقط رأسه قرية الدشت في جزيرة فيلكا الكويتية، ولد في عام ١٧٦٦م، وتتنقل لطلب العلم بين مدينة الكويت والبصرة وبغداد، وبلاد الشام والحجاز والأحساء، وغيرها من المدن العربية، طلبا للعلم الديني والأدب والثقافة واللغة، تميز بأسلوبه النثري ذي السجع المتكلف، ولكنه لا يخلو من المفردات الغريبة، والمحسنات اللفظية البديعة.

له منظومات شعرية كثيرة ومتنوعة، بلغت أكثر من خمسة آلاف بيت، متناثرة في بطون كتبه، التي بلغت أكثر من خمسين مؤلفا، ألف هذا الكتاب الذي بين أيدينا «سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد»، وسرد فيه سيرة وحياة التاجر الكويتي المعروف، الشيخ أحمد بن محمد بن حسين بن رزق، المولود عام ١٧٥٦م في مدينة الكويت، والمتوفى عام ١٨٠٩م، وأهدى هذا الكتاب إلى أبنائه من بعده، وكان ذلك في عام ١٨١٠م، وهم (محمد، يوسف، عبدالمحسن، خالد، عبدالعزيز)، تخليداً لذكراه العطرة.

طبع كتاب سبائك العسجد في بلاد الهند، بمطبعة مومباي، على نفقة الشيخ عبد الله أفندي العباسي، الشهير بباش أعيان، عام ١٨٨٨م، وأعيد طباعته ثانياً في المطبعة نفسها عام ١٨٩٧م، علما بأن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية - إدارة المخطوطات - تمتلك نسخة مخطوطة من كتاب سبائك العسجد، بخط الكاتب الكويتي محمد المباركي، كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده، عام ١٣١٣هـ، بخطه الجميل المعروف.

توفي المؤلف عثمان بن سند عام ١٨٢٧م في أقرب تقدير، نسأل الله عز وجل أن يرحمه برحمته، وأن يجزي كل الجزاء كل من ساهم في حفظ ذلك الكتاب من الضياع، ليكون مرجعا أصيلاً لتاريخ دولة الكويت ومنطقة الخليج العربي عامة.



هذا كتاب سبائك العسجد فيه أخبار
أحمد نجل رزق الأسعد
تأليف الإمام الهمام ذي القول الأسد
الشيخ عثمان بن سند البصري
لا زالت الرحمة علمه قبره
تجريم
أمين

وكان وفاة المصنف ببغداد سنة ١٢٤٢ للهجرة
ودفن بجوار الشيخ معروف الكرخي
عليه الرحمة



بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب المستطاب

إن أولى ما رفعت فيه أنوف اليراع، ونسجت فيه برود الإبداع، وطرزت مطارفه بينان الإبداع، حَمَدُ من نشر المكارم وألويتها، وروض رياضها وأفنيتها، ورفع أطامها وأبنيتها، وأهب نسائهم، وأدر غمائهم، وفتح كمائمهم، أحمدته حمد من أعمل بالحمد لسانه، وأشغل بالشكر أركانه وجنانه، وزين بالمكارم بنانه، وبالطلاقة واللطافة إحسانه، وأشكره شكر معترف بامتتانه، مغترف من بره وإحسانه، عارف بعلو شأنه، وأصلي على من نَطَّقَتْهُ البلاغة بنطاقها، وطوقته السعادة بأطواقها، وأحاطته السيادة برواقها، وأركبته النجادة براقها، وَجَمَلَتْ به العبادة أجيادها وأعناقها، وزينت به الرسالة أغصانها وأوراقها، وكحلت به النبوة أجفانها، وكملت به الرياسة نقصانها، ونظمت به السياسة جمانها، واغترب من البلاغة غاربها، وشأى في البراعة طالعها وغاربها، وتطوف للكلمات مشارقها ومغاربها، واذدرى منها ذراها، واصطهى من أفراسها صهاها، وسائرته أربابها فما أسرعه وأبطاها.

هو لا شك للكلمات شمس غير أن ليس يعتريه كسوف
أنجبتة من الكرام جدود كلهم للعلا رؤوس أنوف

إن أرضعته بدرها المعالي، وأسفر بمصباح هديه الليلي، فإنه الإنسان الكامل، وواسطة عقد الرسائل، وغرة وجه المكارم والشمائل.

إن يكن راضعاً ثدي المعالي فهو لا شك أشرف الأنبياء
أو يكن للعلا سماء فهذا قمر نير لتلك السماء
أو يكن مصدر العلوم فكم كما ن لباغي البذل مصدر الإعطاء

أطلعته العلياء في سماها، حتى شأى كيوانها وذكاهها، لا غرو أن صار
أحمد أبناها، وأكرمهم كفا وأنداها، وأعظمهم منصباً وأرفعهم جاها، محمد
الذي نشر المكارم، وكسر المصادم بالصوارم، ونثر الغنائم للغانم.

كم أرسلت يميناه من جدول
إن أمطرت تلك فقل مزنة
وإن جرت هذي على معسر
أرسله الله لنا رحمة
قد قصر الكفر ومد الهدى
كل المزايا ينتهي عدها
بذل بلا إكدا ومن بلا
أجود من ريح كما أنه
ومن يكن جبريل خدناً له
وسلسلت يسراه من جعفر
لكن بغير التبر لم تمطر
فهو مدى الأيام لم يعسر
في هذه الدار وفي المحشر
مداً على الأسود والأحمر
إلا مزاياه فلم تحصر
من بما يلقيه من جوهر
أشجع يوم الروع من قسور
فقدره للناس لم يقدر

أترى تجاربه السحائب، في إسداء الرغائب، أو شفرات القواضب، في
فل النوائب، لا ولا الرياح المرسله، في الهيئات المجزلة.

كل جود فالليه ينسب
رام أن يحكيه بحر زاخر
كوكباً للمجد قد خيلته
كم نوال من أياديه جرى
ولدى الحرب إذا أبصرته
كل حمد قاصر عن وصفه
قل به ما شئت من أعجوبة
أو كمال فهو عنه السبب
فانثنى عنه فكيف السحب
غير أني لا أراه يغرب
فجرت منه أياد تطلب
فهو بدر وظبأه الشهب
وعجيب فهو منه أعجب
فهو في الفضل البديع المعجب

برز والكفر ذيال، والباطل متبختر مختال، فدحض الكفر بالأبطال،
والباطل بالنقض والإبطال، ختم الرسل ورشحها، وفتح السبل وأوضحها،
وأوسع المكارم وفسحها، ورفع الصدور وشرحها، وراودته الدنيا فسرحتها،
ومدت إليه الآمال فمنحها، وألقيت إليه المشكلات ففتحها، ارتاحت الأكوان
لطلعته، وتجمّلت وجوه الأزمان بغرته، وتشرفت عدنان بنسبته، وأخبرت
الرهبان بنبوته، ونسخت الأديان بملته، وأقرت الجمادات بمعجزته، ونطقت
الآيات بعلو كلمته، وتواترت البشارات بنصرته، ونكست الأصنام من مهابته،
وارتفعت أعلام الإسلام برفع همته، وأزهرت رياض الإيمان بقواضيه، إزهار
رياض الإحسان بمواهبه، كم أنار لليقين من مصباح، وخفض في رفع الدين
من جناح، ورفع عن الموحدين من جناح (صلى الله عليه) وعلى آله، المقتطع
كمالهم من كماله، الفائزين بتلقي إرساله، واتباع أقواله وأفعاله، الذين كانوا من
الرياسة أعيانها، ومن شجرة السيادة أغصانها، ومن السعادة أعلامها وعنوانها،
ومن النباهة عمادها وأركانها، ومن المروءة سحائبها، ومن الفتوة كواكبها، ومن
الملة قواضيه، ومن الآراء أقطابها، ومن الآلاء عباها، ومن النجابة رقابها، ومن
المهابة شبابها.

تعطر من علياهم الكون فاكتسى مطارف ذكراهم فزاد جماله
أصبحوا من العليا صدورا، وتألّقوا في سماء الكمال بدورا، وأرسلوا
جداول الأفضال فأضحوا بحورا.

قرشيون هاشميون حلوا من سماء العلا محل الثريا
وتساموا إلى المثاني فحلوا من بروج الثنا مكانا عليا
أدركوا بالهدى ما أرب لما قلدوا واقتفوا رسولا نبيا
قرشي النجار أظهر فينا دينه الحق والقويم السويا

وعلى آله وأصحابه نجوم سماء المعالي، ورجوم المعادي بأطراف العوالي.

غرر في الدنيا صباح ولكن في وجوه من المكارم بيض
كلهم تابع بدين متين فمذيل أذيال جاه عريض
قرضتهم أي الكتاب بمدح جل عن مدحهم نسيج القريض
كلهم مهتد فمن ينتقدهم فهو لا شك ذو فؤاد مريض

دأبوا في المآثر الصالحة، ونصبوا في تعاطي التجارات الرابحة، ورمقوا الدنيا بالبصائر فأزروها، وأقبلت عليهم بالحذافر فألقوها، وتزخرفت لهم بالمفاخر فما رنوها، وتولت عنهم فما بكوها، تجردوا للعبادة عن الموانع، وتفردوا بالسيادة عن المنازع، ألفوا المكارم قبل إلقاء التمام، وشاؤوا المكارم قبل الاعتماد بالعمائم، وولعوا بثغور الصوارم، عن مضاحك المباسم، ورضوا بصهوات الشياظم، بدلا من ربوات المقاعد، وعانقوا نحور المخادم، معانقة لبات الولائد، (صلى الله عليه وعليهم، صلاة وسلاما مني إليهم)، ما ضحكت ثغور الدفاتر عن درر أخبارهم، وضحكت وجوه الأعصار عن غرر إنشادهم، وتعطرت برود المجالس بأرج أذكابهم، وابيضت وجوه الأتباع بأشعة أنوارهم، وفتحت كمائم الأفئدة عن أزهار اعتبارهم، وما هفت رياح الأخبار، وصفت موارد أسمار الأخيار، وطلعت شمس افتخار، في مطالع اشتها، وتألقت بروق الأسمار، في سحاب الأسجاع والأشعار، وأورقت أغصان الأفراح، وضاع رند المسرة وفاح.

(وبعد)، فإني مذ لبست للآداب تقصاها، واحتسيت صهباها، وذقت عقارها، وتدثرت دثارها وشعارها، وتنقلت في أوطانها، وتفيأت ظل أغصانها، وتنشقت أرج أردانها، وجريت طلقاً في ميدانها، لم أزل أعطن في أعطانها، وأسرح طرف الطرف في رياضها، وأورد ذود الفكر في حياضها، وأمرح مختالاً، في خمائلها يميناً وشمالاً، أستشيم بارقتها إذا سرى، وأجري

مع هواها حيث جرى، فأرتاح للأسجاع، ارتياح بناني إلى اليراع، ومسمعي إلى السماع، أجري في أمثالها الشاردة، جريان الوافد للعائدة، أنظم فرائدها، وأتقلد قلائدها، وأعانق خرائدها، وأقيد أوابدها، وأحل معاقدها، وأدل على مقاصدها، وأعوج إلى معاهدها، نادياً دمنها وأطلالها، مصاحباً آرامها وآجالها، متفرعاً ذوائبها، مغترباً كاهلها وغاربها، منبسطة في الطويل والبسيط، هارجاً مع كل خفيف الطبع بسيط، راملاً في مسعاها، بين مروتها وصفها، ملتصقاً أركانها مقبلاً، سائلاً في غيظانها مترسلاً، ممتطياً ميظانها، موجزاً ومطولاً، جانياً جنانها، حانياً بانها، مشنفاً أذني بشنوف أمثالها، مرتشفاً بفي سلافة أقوالها.

كم ظلام واصلته بصباح	ونهار واصلته بظلام
ساهرأ فيه بين نثر ونظم	مرعفاً فيه أنف الأقالم
أنتقي منه كل معنى بديع	في بديع من الأكارم سامي
إنما لذة الفتى نظم لفظ	رائق السبك باهر الانسجام
يتوخي فيه ثناء كريم	المعي الطبع مثل الحسام
كأبي يوسف الذي ألف المج	د وبذل السماح قبل الفظام
راق منه الزمان وجهها فأضحى	حاكياً وجهه بحسن ابتسام
كل جود من جوده مستعار	فاسألوا عنه ألسن النظم
هل رأيت مثل جوده من قديم	أو رأيت مثله بكل الكرام
فهو بحر للجود لم يعرف الجز	راق بدر للمكرمات الجسم

فما زلت أترقى فيها من فن إلى فن، وأتعاطى منها زماناً دنأ بعد دن، أتطوف البلدان، وأتعرف الوجوه الحسان، من عدنان وقحطان، أغزل تارة وأمدح، وأعرض أخرى وأصفح، فأغزل إن غزال سنح، وأمدح إن جواد منح، وأصفح أن بخيل جمح، كم وشحت من ألوكه، وكم رشحت من سبيكه، وكم

اجتزت في مجاز، ما له من مجتاز، أقتنص الأمثال، اقتنص القانص الغزال،
وأكل المقل بالسهاد، كحل الأوراق بالسواد، وأولع بالرقم، ولع الغانيات الرشم.

كل ما ذاك لتحصيل فتى مثل نصل السيف معطاء اللها
أو أغاني رشاً ذا حور ما رناه زاهد إلا لها

فمحافلي حافلة أدبا، أرق طباعاً من أنفاس الصبا، وأنضر وجوها من
أيام الصبا، وأميل إلى المفاكهة من أفنان الربى، تأخذ أزمة الأشعار، بإيمان
الابتكار، فمن مقلال ومن مكثار، فمن مسامر بغزل، أطف من نظرات المقل،
ومن مادح لكريم، ذي صباح وسيم.

رب ليل سهرته في وجوه من سلاف الهوى تراهم سكارى
كلما أنشدت عليهم صفات لغزال أمسوا سكارى حيارى
كغصون البانات في الطبع لكن كنصال الظبي تشق الغبارا
كلما عسعست دجى كشفوها بوجوه تشابه الأقمارا
يجمع الليل منهم كل وجه تحسب الليل من سناه نهارا
أكسبتهم آدابهم كل طبع أكسب الروض بهجة وبهارا

فبينما نحن كذلك، تسييل بنا أودية تلك المسالك، نتنازع أطراف
الأعاجيب، ونتعاطى اللهو مع الرعايب، في ليلة ذات أسفار، بوجوه السمار، لا
بالأقمار، في رياض حفت بالأزهار، ورففت فيها بالأجنحة الأطيوار، في زمان أرق
من طبع صب، ومكان كوجنة المعشوق إذا صب، إذا سالت بالأعناق الأسمار،
أودية مدايح الأخيار، فأخذ كل منا ينشد ما عنده، ويقرض من أجزل رفته
ومده، فيأتي من أشعاره بالطفها، ومن أسماره بأظرفها، ومن أمثاله بأجمعها،
ومن بدائعه بأبدعها، حتى أنشد بعض من حضر، في ذلك المحضر، فأجاد وما
قصر.

سبرت الـورى فلم أجد سوى أحمد بن الأملعي محمد
فتى أريحي الطبع لو أن حاتمأ رآه لرام الفضل من راحة الندى

فلما سمعه بعض من دأب، في اقتناص حرفة الأدب، أنشد مرتجلا،
حتى أعجب الملا، وقال كل منهم له: بلى.

تذاكر صحبي بالأكارم أيهم أجل إذا تطرى الكرام وأفضل
فقلت لهم إن الأكارم جملة ولكنهم عندي بأحمد كملوا
هو البحر لكن مده غير جازر هو السحب لكن كل وقت يؤمل

ولما فرغ من إنشاده، ما كمن في فؤاده، قفاه بعض الجلاس، مهتديا بهذا
النبراس.

يقولون لي فضلٌ ويحيى بن خالد كرام لكل منهم مد جعفر
فقلت صدقتهم غير أن لكف من أرى أنه روح الندى مدّ أبحر
أولئك ناس أنفقوا عن إمارة وأحمد يعطي ماله وهو يتجر

ولما استحسن الجالسون إنشاده، وعرفوا ما أراده، وشكروا الإجابة،
نهض بعض من سمع، فأنشد من السهل الممتع، ما يسكر الأسماع، ويأخذ
بتلابيب الطباع.

رأيت الندى قد مات حتى نعيته وحتى بكته بالدموع النواظر
فلما بدت في الكون غرة أحمد تألق منه ما طوته المقابر
فأصبح منشور الذبول كأنه لنا مثل بين البرية ساير
فما من يد إلا وفيها عطية ولا بلد إلا له فيه شاعر
فلو رقموا بعض الذي فيه من ثنا لضاق الفضا عنه فكيف الدفاتر
يداه لنا بحران والكل زاخر وكل بسيط بالنوال ووافر

ولما طرز برد شعره، وكظم على اللؤلؤ ثغره، انبرى له آخر، وبرز له
وفاجر، جاريا على أسلوبه، ساريا على مصاحبه إلى مطلوبه.

أيها المادحون أحمد كُفُوا ليس يحصي أوصافه شعر شاعر
إنما أحمد سماء كمال ومزاياه كالنجوم الزواهر
كل بحر له مغائر شتى ونداه ما إن له من مغائر

وحين أطرب السماع بقصيدته، ورنح العقول بنشيدته، حاكاه بعض وأوجز،
ولكنه أجزل وأعجز.

قل للذي يزعم في عصره أن الندى في أحمد مفرد
أحسنت لكن لا خصوص الندى بل الحجا والحلم والسؤدد
كل له في عصره مشبه ومثله في الناس لا يوجد

ولما أقلع عن المقال، وصمت بعد الارتجال، وكنت ممن جمعه القدر، بين
تلك الوجوه الغرر، أسرعت في إنشادي، وأجريت في الحلبة جوادي.

يا منشدي الأشعار في سيد طلق الأيادي في الجدى والجبين
يساره يسر لقصاده واليمن معقود له في اليمين
كيف يجاري شعركم فضل من ما زال كالغيث على المعسرين
أبلج وضاح إذا يجتدى ولو تناهى زمن المجتدين
يساره مثعنجر مزنه والغيم بالقطر بخيل ضنين
قد أقسم العصر وصدقته بأنه ليس له من قرين
كل المزايا فيه محصورة أعني مزايا السادة الأكرمين
لا يبرز الدهر له مشبها فإن يرم فهو من الكاذبين
خاتمة الأجواد في عصره فهل ترى من بعده باذلين

يا بحر إن كنت نظيراً له
عطائك الماء وذا مده
كم نظمت يمناه من سؤدد
وكم أياد منه مجرورة
قد أتعبت أوصافه الغر من
أوصافه الأمثال لكنها
لا قطر إلا فيه ذكر له
يا مضر الحمراء نلت العلا
أصبر من طود إذا عضه
أصدق في الهيجاء من قسور
كأنه تحت طوال القنا
يسطو بعضب قد حكى وجهه
فلا تكن يوماً من الجازرين
در منقى أو نضار ثمين
منتثر أعني على الناظمين
مرفوعة إلا عن اللائمين
كان له من جملة المادحين
سارت بها السنة الحاسدين
يفوح كالمسك على الناشرين
بسيد جم المزايا رزين
ناب من الدهر طير سنين
ولم يكن إلا العوالي معين
ليث تبدى في خلال العرين
أو ثاقباً خر على الماردين

ذكر أحوال الشيخ أحمد بن رزق

فلما أكلت المقالة، ورشحت التمثالة، وأطلعت بدور الجلالة، في خلال تلك الهالة، وأسرجت نور هذه الذبالة، من أنوار تلك الغزالة، أنصت القوم، ولم يفه أحد بلوم، فعلمت إجماعهم على فضله، وأن من عارض لا يُعبأ بنقله، فأيقظت نائم الهم، وأشحذت كليل العزم، وأرعت أنوف اليراع، وأسجدتها في محاريب الرقاع، ووشيت برود الأشعار، وحركت سواكن الأفكار، لنشر ما انطوى له من الآثار، وزوجت بين المعاني والمباني، لإنتاج ما له من المثاني، وأخذت أنشر مطارف أذكاره، وأذيع مكارم أخلاقه ومحاسن آثاره، وأكشف عن وجوه مخدرات مقدراته، وإن كن ذكاء في رابعة النهار، وقفا نيك في الاشتهار، فأنظم لآلئ اليراعة في عقود الأسطار، وأجلو عرائس الأفكار، على منصات ما له من افتخار، فإن جواهر آثار الأجواد، مما تقرط به الأذان وتطوق به الأجياد.

سأنظم من أخباره في طلا العلا خرائد لم تثقب إلى الآن بالفكر
إذا جليت فوق المنصات ألفيت معطرة الأذيال باسمه الثغر

على أنني وإن نظمت في مدحه الدراري، وجاريت بأقلامي كل نجم
ساري، لا أراني إلا مقصراً، وإن كنت مطنباً ومكثراً، كيف البلوغ لغاية كماله،
والوصول لإحصاء أفضاله، وقد أفعم الآفاق بقطره، وجمل الأعناق بقلائد
بره، ووجوه الأعصار بغير فخره، ورياض الأمصار تزهو بذكره، وسماء المعالي
بأنجم محاسنه، وصدور الليالي بمراسل ميامنه، حتى أديرت أفلاك الشتاء على
أقطابه، وأنيخت نياق الآمال ببابه، واستميت جداول الكرم عن عبابه، ولفت
المروءة بين أثوابه، فصار جديراً أن يقرض بالدر المنثور، وتقرط آذان مكارمه
بالنجوم والبدور، ويتفاخر بالوصول إليه، والمثل في نأديه بين يديه.

كم شريف سميدع ذي مقام طلب العزب بالوقوف لديه
أمطرته من فضله مرسلات ترسل الجود منه دأباً إليه
كيف لا ترفع الأيادي إلى من خالص التبر صار مد يديه
إن يكن للكمال تاجاً فهذا مجده خاتم على خنصره

عقب صيته في الأكوان فعطرها، وظهر على ذكاء فغلبها وقمرها، وتجلى
على السيارة فسبقها وتصدرها، وتبسم وجه إقباله في الأعصار فنورها، وسجم
وابل معروفه في الأمصار فأزهرها ونورها، وطاولته الرواسي فما أطوله
وأقصرها، وكاثرت مكارمه النجوم فكثرت، وجارته الكرماء فكان أغزرها،
وبارته الحكماء فكان أشهرها، قلد الرقاب مننه، وعلم الشاب سننه،
وأرسل النوال وعنغنه، وصحح الكمال وحسنه.

فكم له من أياد معروفة لا تجارى
فأق الملووك نوالا فكيف يبقي التجارا
إذا تأللق وجهاً أبصرت فيه اليسارا

وإن مشى للمعالي	وأدركت فيه الوقارا
يأبى اللجين احتقاراً	ويصطفيك النضارا
يلقى الضيوف بوجه	تخال منه النهار
من وجنتيه تسامى	سنا الندى واستنارا
بدا وللبخل أسر	فضك منه الأسارى
وأكثر البذل حتى	منه استقل البحارا

وبالجمله فهو الجوهر الفرد في عصره، والعلم المرفوع على أقران مصره، والمشار إليه بالأنامل في قطره، والمبتدأ الواجب تصديره، والفاعل اللازم بروزه وظهوره، والعالم المفقود في الأيام نظيره، والمعروف بأداء التعظيم ولم يعهد تنكيهه، والمخصوص من جنسه بالتكريم فامتنع في الأناام تصغيره، والمنعوت بنعوت الإجلال، والمصدر لكل كمال وإكمال، والمستثنى بكرم الأيادي، في الحضر والبادي، والمميز بالأحوال المرضية، والمضاف إليه الكمالات الإنسانية، والموصول إلا أنه ذو صلوات، وعوائد غير منتهيات، والظاهر بكل فضل، والمضمرة في كل عقل، فهو قطب تدور عليه أفلاك المواهب، وطالع لا تناظره الطوالع والغوارب، وسحاب لا تماطره ثدي السحاب، وعباب تنصب منه جداول الرغائب، وقبله يستقبلها القاصد، ويحن إلى زيارتها الغائب والشاهد، وزمزم يستعذب نبعها الصادر والوارد، ويترحل إلى سقايتها المسنت العائل، على الغارب والكاهل، وركن يستلمه السائل، فيرجع بالفضل السائل.

يا كعبة المجد وركن الندى	ويا منى السؤال والراغبين
أدركت مجداً شامخاً باذخاً	يسمو على الماضين والآخرين
خلقت من ماء الندى خالصاً	فأنت تعطيه من المخلصين
كم قائل أحمد كم مسرف	نعم ببذل الكف للمعتقين
كم من مسيفٍ جاءه طالباً	فرد عنه بالعطايا سمين
يا دهر إن حاكيته عزمة	فكن كما كان من المنصفين

أمطر بلا رعد على المجدين
فإنه الضحك للمجدين
كبخله حلما على الجاهلين
أسود من ليل على المعتدين
يقدمها بربط جأش رزين
كدينه المتضح المستبين
يك في الطعن من المهتدين
وحاتم في طيئ الأكرمين
يكن لغالي المال بدلا مهين
كأنه فوق الثريا رهين
حتى على السنة الكاشحين
طاع لها فهو من الخاسئين
فلا تكن يوما من الكاسفين
أظهر من نور الضحى المستبين
عرفانهم للشمس عين اليقين
ما أظهر الله فقطعاً يبين

ويا سحابا ظن شبهاً به
وافعل كما يفعل عند الجدأ
أحلم من قيس على أنه
أفعاله بيض وغاراته
كم غارة شعواء يسمو بها
والنقع كالليل ولمع الظبا
لولا بريق البيض في النقع لم
كأنه في مضر عنتر
أعز جارا من كليب وإن
يبيت من جاوره آمناً
قد ضربوا الأمثال في جوده
كم حاسد رام علاه فما اسد
يا بدر إن قاومته رفعة
تلك معاليه التي شادها
يعرفها أعداؤه جهرة
لن يطفئ الحاسد من نوره

رام حساده أن يدركوا مقداره، أو يسبقوا آثاره، ولم يشقوا غباره، وأرادوا
أن يطمسوا مناره، فأبى الله إلا إعلاؤه وإظهاره، مهد هو والمكارم في مهد،
وارتضعا فكان راضعهما المجد، وكفلا فما كفلهما إلا السعد، وحضنا فما
حضنهما إلا السعادة، وختن هو فما خاتته إلا السيادة، حتى تنقل من الأحوال
السعيدة، إلى الأطوار الطيبة الحميدة، وبلغ مبلغ الرجال، وهو أخو الكمال
وأبو الجلال، ينشر للفضائل كل طي، وينشر الفواضل نشر أخي طي، وينادي
لسان المكارم، له إنني أنا حاتم.

ألا أيها العافون إن رمتم الندى
فكفي لم تفتتر عن المد لحظة
وذاك أجاج الماء دأبا عطاؤه
وإن سحاب الجو يمطر ساعة
ولا فضل في الأيام إلا لراحتي
وإني من قوم نمتهم جدودهم
لهم شرف لا يرتقى وفضائل
وقائعهم سود وإن تك دائما
لئن كان آبائي لهم كل سوؤد
لما تم ذاك الفضل إلا بطلعتي
فسل عني الآفاق هل كان نائلي
وهل كان مجدي يستطاع سموه
أولئك قومي خير قوم وجدتهم
هم يحسنون الضرب في طلب العلا
بهاليل غران الوجوه إذا سجي
شغاميم لا يرضون مركوبهم سوى
جروا تحت أظلال الرماح تظلمهم
إذا أصلتوها خلتها من أكفهم
حييون إلا أنهم في نزالهم
منازلهم أعلى الذرى وهي في الطلى
لهم كل فخر لا يجارى وسوؤد

فمن كفي السخاء لا من يد البحر
وذلك إن يمدد فكم كان ذا جزر
وكفي تعطي الدر أو خالص التبر
وكفي سحا بالنوال يد الدهر
فكم معسر قد أطلقتته من العسر
إلى شرف يسمو على قنة النسر
إذا حسبت أعبت عن العد والحصر
مطرزة أذيالها بالظبي الحمر
على كل من رام التصدر في الفخر
كما تمت شمس الضحى طلعة الفجر
يسيراً وهل كان افتخاري لا يسري
وها هو مركزوز الدعائم بالتبر
إذا ما جرى حيان يوما إلى فخر
كما يحسنون الضرب والطعن بالسمر
غبار أزاحوه بمصلتة غر
ظهور خيول تحت أسيافهم تجري
صوارم سلوهن من وهج الحر
ثواقب زهر أو شقائق في زهر
أشد بروزا من سيوفهم الحمر
إذا ركبوا ظهراً نزلن على نحر
عظيم ومقدار يجل عن القدر

وحين قضى لسان حاله، من نعت بعض أحواله، صمم العزم على ما
قصد، وأحال يستتجز به ما وعد، من إنشاء ترجمته، ونشر برود مكرمته،
وذكر أحواله من مولده لموته، بعبارات هي السلسيل، وإشارات أرق من نظرات
الخليل، وأسجاع تشفي العليل، وتروي الغليل، أشم وجنات الطروس بالسطور،
وأصباح الأزواج بالديجور، أجانب القصر، مجانبة الشارب الخصر.

كلما ذاك لتحصيل هوى كلما سكنته لا يسكن
في مزيائه التي أقلامنا عجزت عنها فكيف الألسن
كلما أبصرته قلت به كل شيء فيه فهو الأحسن

سيد سوّده أصله، ومجده على كل ماجد فعله، إن نطق فصل، وإن أنفق
أرسل المثل، أو رنا انكسرت المقل، وطوطئت الرؤوس من الخجل، إن نظرت إلى
مرابعه فمخضرة، أو إلى وقائعه فقائمة محمرة، أو إلى صوارمه فهي للنقع
غرة، أو إلى دراهمه فهي لم تألف الصرة، أو إلى وجهه فباسم، أو إلى راحته
فسحاب، أو إلى رفده فساجم، أو إلى أفنيته فرحاب، أو إلى جلسائه فأقطاب،
أو إلى ندمائه فألطف، من الأفنان وأظرف.

تكاد على الأوراق منهم طباعهم تسيل ولكن لا تسيل الطبائع
إذا ما تعاطوا للفنون تفننت جوامع من أفكارهم ويدائع

قد أبرزته قدرة القادر، من الرحم الطيب الطاهر، منتميا لأزكى
العناصر، في بلدة مصغرة فكبرها، حين تبوأها وتدبرها، ولعمري إنه أجل
مقداراً، من أن يتخذها داراً.

شرفتها أوصافه الغرما أن تسامى في دوحها وتعالى
وتعالى على البلاد ولما أن قلاها كانت بعيني تعالى

وكان أول ما برز فيها، مصدراً كأبيه في زوائرها، تخال النجابة فيه، والبراعة ظاهرة من فيه، تسمو به نفسه وهو رضيع، إلى كل مقام خطير رفيع، حتى إن الصبيان لتعرف له الشان، وترفع له المكان، حتى ذكر لي بعض الأتراب، الملازميه أيام الشباب، أنه جلس مع الأولاد، عام عشر من الميلاد، فبرز له معاشر، في صورة شاعر، فأنشده من منظوم تلك البلدة، ليعلم بذلك رفده، وعندما كمل ما عنده، قام إليه وكساه برده، فانتشى الغلام جذلاً، بما أمده يمشي الخيزلي، ولما أخبر أبوه استبشر، وقال لابني شأن يظهر، ثم لم تمض الأيام، أقصر من لي الزمام، حتى أخذ يبتاع الجواهر، استعانة بذلك على المآثر، وهو مكفول بأبيه، مختلاً بالدلال بين ذويه، ملحوظاً بلواحق الإكرام، من الخاص والعام، مشاراً إليه بالأصابع، معروفًا بكريم الصنائع، مألوفاً بطريف الطبائع، ملقية إليه المعالي بعنانها، ناظرة إليه بإنسان أعيانها.

حاتمي بطبعه مضري
ليس يحكيه همة عري
وحيد في عصره أوحدي
كل وصف يسمو به أحمدي
فهو لا شك للعفاة الوصي
وهو بالمهد والرضاع صبي
غار منه وفضله البرمكي
ه كما قام بالكرام الندي
إذ سقاها من صوبه ثروي
كلح الدهر فهو غيث روي
وأبوه إن صرصر السمهري
فابتناها والفضل فيه الولي
ه فردوا والكل عنها قصي

سيد ماجد كريم عظيم
علوي مقدم في المعالي
ما رأينا نظيره فهو لا شك
المعي يحار طرفك فيه
كفل الناس بالكرام طراً
رمقته العلا بطرف خفي
قلدته قلادة الفضل حتى
قام سوق الندى بفيض أيادي
أورقت مذ بدا غصون المثاني
أسد في الوغى هزير ومهما
عامري في الطبع نجل معاذ
خطبته بكر المعالي صبياً
رام أعداؤه صعود معالي

فما زال يُحيي الآمال من حلها، ويصرفها في الأحوال على أهلها،
ويعدّها لفل النوائب وحلها، ويثابر على مفروضات المكارم ونفلها، ويدعو العفاة
إلى طرقها وسبلها، ويدعو إلى سُنتها، ويهدي إلى سُنّتها، ويدلي أقناء فننها،
حتى تناقلت أخباره الركبان، ونشقت عطر أذكاره معاطن الأوطان، وسالت
بسيبه الغيطان والميطان، وأرسلت جداول راحته في الراحات، وجرت بمجرور
مده بطاح الساحات، وسرحت ذوائب أغصانها، ونشرت مطارف ريحانها،
وصفت مشاربها، وكرع بالفم شاربها، فالأذان بأخباره مشنفة، والأعيان بنظراته
متشرفة، والعطايا من يساره مغترفة، والكمالات به مؤتلفة، والإفضالات
بصلاته متعرفة، وأذيال المروات بينانه مطرفة، ووجوه السادات في ناديه
مصنفة، لا تنتهي كمالاته، كما لا تنتهي صلته، ولا تحصر أفراد ما له من
إحسان، بنطاق يراع ولا لسان، منهجه أقوم المناهج، ومدرجه أفضل المدارج،
يعرج عروج البدور، ويدرج مدرج الصدور، هو قس في فصاحته، وكعب في
سماحته، ووائل في عزته وحمائته، وجساس في فتكه وأنفته، وملاعب الأسنّة،
ومجير الجراد فيما سنه، أشجع من ابن عبّاد، وأبدع من ابن عبّاد، وأمنع عزة
من ابن زنباع، وأصدق من القطا بالإجماع، وأسرّد من السهم، وأحد من المخدّم
في العزم، وأصبر من ذي ضاغط في النوب، ومن عود يجيبه جلب.

صري عزم من أبي سمال إن فدح الخطب على الرجال

يصمت عن وقار، وينطق فيرتفع المقدار، بلفظ يؤلف بين النهار والظلام،
وتفهم أعجازه من صدوره قبل التمام.

مولى إذا ما حاك برد مقالهِ	في مجلس عرفوا له المقدارا
يوليك أفضا كدر محارة	بمضاحك تدع الظلام نهارا
قد ألبس الأيام حسن بهائه	وكسا الأنام مهابة ووقارا
طلعت على زهر الكواكب شمسهِ	فرايتها رأي العيان صغارا

نجم نجم سعوده في سماء الشرف، فأخفى ضوءه كل سدف، دأب في
تقييد أوابد الآداب، دأبه في تقليد المنن الرقاب، حتى لم يبق جيد إلا وله فيه
سخاب، وحتى قبل منه الأيادي، الحاضر منا والبادي، كيف لا وهو ابن رزق
العفاة، وأحمد من اهتز للندى عطفاه، وأفصح من نطق بالحكم فاه، وأمجد
من طار في الآفاق شاه، وأسعد من تاللاً في وجه الشرف سناه، وأشجع من
هز عطف فتاة وشاه، لم يبق معطس إلا انتشق من ريا جده، ولا زند جلال
إلا وتحلى بسوار مجده، ولا خنصر آمال إلا وهي حالية بخاتم مدّه، ولا
عقد كمال إلا وهو واسطته، ولا نحر شرف إلا وهو قلادته، ولا سمو إلا
وقد أنيطت به سيادته، ولا أفق إلا وهلت فيه سعادته، قام على أنه المفرد في
كماله، المتعالي على نظرائه وأشكاله، أدلة لا ترد نصوصها، ولا تقلع من خاتم
البرهان فصوصها، لا يدرك فضله بالقياس، ولا يدانيه زحل في الشرف ولا
يقاس.

إن يكن أشرف الكواكب دارا
ليس من سوّدد فما حلّ فيه
إن يكن ألبس الوقار رداء
مسرف في العطا فإن رمت سراً
ما لإحسانه الموصل حد
فهو لا شك عد أشرف منه
ونوال إلا وأرسل عنه
فهو رضوى حلماً متى ما تزنه
قد ثوى في الضوّد منه يصنه
لا ولا في الوري له حد كنه

لا جرم إن نعت بأكمل الأوصاف، ونظرته نظر تودد أَلحاظ الإنصاف.

كيف تحصي عاداته الأقسام
هو كالبدر في الصعود ولكن
لم يزل للثناء يدأب حتى
نظرته عين السعود فأضحى
إن دهرأ أمسى به لزمان
أقسم الدهر وهو فيه صدوق
أو تحاكي عزومه الأيام
ما عليه من مبصريه ظلام
أدرك السوّدد الذي لا يرام
مسعدا فيه للسعود ابتسام
فيه للفضل والمعالي قيام
إن هذا للمكرمين الختام

عود المروءة فما صبر عنها، وما زجته السيادة كأنه خلق منها، وتجلى على الرياسة منكرة فعرفها، وعلى السياسة متفرقة فألفها، وعلى أعباء المكارم - وهي لم تطق - فتكلفها، كم جمع من شاردة، وقيد من أبدة، وأفاد من فائدة، وأجاد عن عائدة، وأمد من مائدة، وأسقى من واردة، وأغنى من وافدة، أعرق للمجد وأشأم، وأنجد للحمد وأتهم، وغار للعلياء ولم يسأم، حتى فوف حمده كل فم، ونشق مجده كل معطس وشم، ورقم فضائله كل قلم ووشم، وحتى قيل فيه ما درج، حدث عن البحر ولا حرج، إن صدرت عن كفه الآلاء، فكم صدرت من فكره الآراء، وإن كان مصدراً للتقوى، فإنه مصدر في الرتب القصوى، طاول الشم فطالها، وزعمت مضارعتة فأنى لها، فلا غرو أن زهت به وجوه الصدارة، وزادت به المكارم بهجة ونضارة، إذ هو الكشاف للمعضلات، والمصباح للمشكلات، والغاية في الكمالات، والمنتهى إليه في المهمات، والغنية للطلاب، والحاوي لنظافة الأثواب، تلتقط درر الفصاحة من فيه، ويقتطف زهر السماحة من روض أياديه.

يا له من سيد ما فتحا	كفه إلا وفضلا منحا
وإذا ما انفتح الثغر له	فاق في الإفصاح قس الفصحا
هو قطب في سما المجد بدا	ما له إلا معاليه رحا
علم السحب الندى إن زمجرت	أوجه الأفق وأبدت كلحا
للندى يهتز عطفاه متى	ما جرى ذكر الندى أو مدحا

وازن الأطواد عقلا فرجحها، وبدا على الفاقات فزحزحها، وتعاضت العضلات ففتحتها، وابتهمت طرق المروءة قدمتها وشرحها، وعقمت قضايا المواعيد فأنتجها وأنجحها، وانقشعت غمائم المكارم فأنشأها وألقحها، وبارزته الأسد فنتطحها إذ ناطحها، وعارضته الجهلة فأضرب وصابحها، إن أتعب نفسه، فقد فاق بالفضل جنسه، وإن أكثر بذله، فقد شأى من قبله.

الكلام عن بلدة الكويت

هذا وحيث أشرنا إلى بلدته المصغرة وضعا، المكبرة بطولته عظما ورفعا، فنقول: هي الكويت، بضم الكاف، وإسكان الياء بلا خلاف، على ساحل بحر العدان، بفتح العين في ضبط ذي الإتقان، لم تعمر قبل ورود أبيه العظيم الشان، إلا بريهة من الزمان، سكنها بنو عتبة، ولهم في عنزة بن أسد نسبة، والذي يظهر أنهم متباينو النسب، لم تجمعهم في شجرة أم وأب، ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض، وما قارب الشيء يعطى حكمه على الفرض.

ترجمة عبدالله بن صباح شيخ الكويت

والمقدم عليهم، حين ورود أبيه إليهم، (عبدالله بن صباح)، وفقه الله للصالح، وكان لما قدم أبو المشار إليه، يفوض إبرام الأمور ونقضها إليه، حتى إنهم قبل وصوله شردمة قليلة، ذوو مسكنة وذلة، وحين جعلوه لآرائهم قبلة، وفوض خواصهم الأمر إليه كله، شد أزهرهم، وسد ثغرهم، ورأب صدعهم، ونصب جمعهم، ففزع الثروة في تلك البلاد، وطفى بحر المكارم وزاد، وأقبل العز بعجره وبجره، وأطلع المجد في سمائها وجه قمره، وذلك أيام صغره، فتصدر أبوه في أموره، إرهاصا لظهوره، وعلامة على أنه صدر بدوره، وأنه الدرّة التي سمح بها القدر، حتى انفلقت ولله الحمد عن درر، هي لرياض الفضل زهر، ولوجه العدل غرر، على أن أباه كان ذا إيمان، ثابت البنيان، مشيد الأركان، يعمر المجالس بالنفاسة، والمساجد بالتلاوة والدراسة، ذا رأي ثاقب، وتدبير صائب، أثبت من الرعاع، إن قلب المجن الزمان، وأكرم من السحاب الهتان، عظيم المقدار، خصوصا عند الأخيار، واصلا للأرحام، بالهبات الجسم، دائم الابتسام، وافر الاحتشام، يضيق نطاق الحصر عن أفراد ثنائه، ويعجز الزمان عن حمل أعبائه، وما ذاك إلا لإسفار نجله الكريم، على صفحات وجهه

الوسيم، فلقد لف الجد أباه بمطرف المجد، وعطف عليه بطرف السعد، حال إيجاده، في الرحم وقبل ميلاده، فعمت السعادة أباه، مذ تلاً لأ سنه، ولقد أتجر في اللآلي، بثلاثة دنانير اقترضها من الوالي، فبلغت في زمان يسير، ثلاثمائة على التحرير، كما روى ذلك أفضل مجالسيه، وألطف مسامريه ومؤانسيه، كما تقف على ترجمته، ونشر بعض برود صفته، في ذكر أصحابه، ومسامريه في رحابه، (الشيخ محمد بن سلوم)، حرسه الحي القيوم.

ذكر انتقاله من الكويت إلى الأحساء

وفي عام مبارك البدء والختام، أرخه ختام ود وسلام، سنة ١١٨٨ هـ، انتقل أبو هذا القمقام إلى الأحساء من البحرين، وصار فيها بمنزلة الإنسان من العين، فأتد فيها الأوتاد، وأجزل فيها الإرقاد، وبذل فيها المعروف، على المجهول والمعروف، وحصل له ببركة هذا الغلام، أتم الإكرام من الحكام، وصار الخاص والعام، له بمنزلة الخدام، تتاخ على بابه الركاب، وتأتيه الوافدون من كل أوب وباب، فأقام فيها تنشر محاسنه، وتحمد مساعيه وميامنه، بطانته خير بطانة، تأمر بالمعروف وتنهى عن الخيانة، تبتسم ثغور مكارمه، وتمتري أخلاف غمائمه، فما زال كذلك، ينهج هذه المسالك، ويدمث تلك المبارك، بأقدام الإحسان المتدارك، والنجل العظيم، منظور بنواظر التعظيم، قائل في أفياء رواق السيادة، طائل بركوب براق النجادة، مصحوب بالصدور، محبو بالحبور، سائر إبان الطفولية، أحسن سيرة أحمدية، باسمه فضائله، ساجمة فواضله، يتنافس مع أقرانه، لو وجدوا في إرسال إحسانه، يفوح في نادية عبير الإنشاد، ويلوح في سحاب أيديه بارق الإمداد، ما جلساؤه إلا النبلاء، وما منادموه إلا العقلاء، يتشرف بالوصول إليه المجالس، وتتداول بطي أقدامه المجالس، ويتفاخر بلمس بنانه، واستلام كعبة إحسانه.

فمنى الوفاد تقبيلهم
شرف من دونه هام السهى
ليس فيه قط عيب ما سوى
أتعب النفس ابتغاءً للعلا
لا تراه أبدا إلا ترى
جاد روض الفضل منه ديمة
مطلق الأفضال في أصحابه
زان نحر الدهر من أفعاله
لا أرى يدركه في شأوه
لو درى الناس الذي أعلمه
يده إذ هي ركن للندى
أترى تبلغه أيدي العدى
أنه في الجود يدعى مفردا
فغدا فيها الإمام الأوحدا
عنه موصول المثاني مسندا
أو ما تبصره قد وردا
كل يوم منه فضل جددا
حيث من أفضاله قد قلدا
قمر الجو إذا مد اليدا
نظموا فيه الدراري أبدا

فما كان إلا أيام، كأنها للطافتها طيف منام، حتى انتجع أبو هذا السيد
الهمام، منتجعا منه بروق العز لائحة، وأرواح الكرامة في أندائه فائحة، ونتائج
التدبير في جوانبه سالحة، وسروح الفضل في مرابعه سارحة، وغزلان الدمى
في ملاعبه سانحة، بعد أن أعمل الرأي فيه، أن يتخذه منزلا ويصطفيه، أم
يتركه ولا يأتيه، ووافقه على تدبيره، في اتخاذ ذلك المنتجع وتعميره.

ترجمة خليفة شيخ البحرين / الكلام على بلدة الزبارة

(خليفة بن محمد) أشرف بني عتبة، الحائز من رتب الفضل أرفع رتبة،
فتعاظدا بعد الاستخارة، وتسديد سهام الاستشارة، على تعميره وتسميته
بالزبارة، فعمراه وأحكَمًا منه العمارة، وزيناه بالعدل في البداوة، وذوي الحضارة،
حتى ضرب المثل بمحاسن آثارهما، وشنفت الأذان بمحاسن أخبارهما، ووضعنا
المكوس عن الأموال، وساويا بين الغني والمقلال، عمرا فيه المساجد، للراكع
والمساجد، وشيدا فيه المدارس، للقارئ والمدارس، فَللَّه أيامهما ما أبهجها،

وأكثر خيرها وفرجها، أعملت لزيارتها يعامل العلماء، وجملت بجمالها وجوه الكرماء، وهما وإن سبقاه عصرا، فقد سبقهما مجدا وقدرا، فقاما سائرين أحسن السير، لولا التقى قلت هما كعمر، عادمي النظير، ماضي الإبرام في الصغير والكبير، ما نقضاه لم يبرم، وما أبرماه فهو الحكم المحكم، حاكمين على وفق السنة، قامعين لكل جور وفتنة، وبالجملة فهما في سماء المعالي، النيران في الأيام والليالي، غير أن فضلها لا يجاري فضله، وإن كانا في الإيجاد قبله، بل لا أظن الزمان يبرز مثله، هذا وهما وإن كانا الغاية في الشرف، ولؤلؤي السؤدد المعترف، وسحابتي النوال المغترف، مكتسبان من نير إقباله، منتسبان إلى كماله، ففضلهما فرع فضله، فقد يتشرف الأصل بفضله، فتبين أنما سبقا إليه، مقدمة بين يديه، فهو الحقيقة في إبرازه، وهما بمنزلة مجازه.

فما زالا سعيدين بطلعته، متيمين بمشورته، عارفين لمنزلته، متفرسين في ظهور دولته، عالمين أن المجد عقد هو واسطته، وروض هو وردته، وصدفة هو درتها، وطرة هو غرتها، وسماء هو زهرتها، وشجرة هو ذروتها، ورحى هو قطبها، وضمصامة هو غربها، وجثة هو قلبها، وهالة هو بدرها، وعدة هو جذرها، ومقلة هو إنسانها، ورسالة هو عنوانها، وقصيدة هو بيتها، وذبالة هو زيتها، وعين هو نبعها، ونبته هو فرعها، حتى مات أبوه، وكثرت في الآفاق ناعوه، وتعاكف على قبره راثوه.

وساكب جود لا تكال سحائبه	سقى جدثاً فيه عفاف وسؤدد
وثابت حلم لا يززع جانبه	ورأي وتدبير وحزم وهمة
إذا ضن خلف المزن هلت مواهبه	فيا لك قبراً ضم أعضاء سيد
وناح عليه حلمه ومناصبه	كريم نعاه جوده ووقاره
فما بلد إلا وفيه نوادبه	وناحت عليه الكائنات بأسرها
وناح عليه في الحروب سلاهبه	وناح عليه السيف صلتاً ومغمداً
تساقط من حزن عليه كواكبه	فأمسى به أفق المروة قائماً

فلو لم يكن ربع الثنا منه خالياً
ولو لم يكن بدر المكارم كاسفاً
لئن غاب منه الجسم في القبر لم تغب
وما مات من أبقى له مثل أحمد
لما لطمت منها الخدود كواعبه
عليه لما اسودت بحزن غياهبه
مواهبه من بعده ورغائبه
وإن مات في رأي النواظر قالبه

فبقي بعد موت الوالد، ليس له من مساعد، على كرمه إلا الكف
والساعد، حتى بقي أكثر من عام، لا يألف المنام، حذرا من معاديه، أن يقصر
عن مكارم أبيه، فما زال يسدد ويقارب، ويعمل سهام الرأي الثاقب، في إصابته
أعلى المراتب، إلى أن نظرت السعادة، وصدرته على ربي أبيها السيادة، ورقته
على منابرها، وأقبلت عليه بحذافرها، فملاً اللها، بعظم اللها، وألقت إليه
المروءة قلائدها، وسلمت إليه الفتوة مقالدها، فترقى إلى مقام لا يستطيع
ارتقاؤه، ولا يطاق إلا منه بناؤه.

تقاصر عن إدراكه كل فاضل
ورام ضحك المزن يشبه وجهه
فيالك من مولى سعدنا بكفه
فما الفضل إلا كعبة أنت ركنها
تمسكت من أفضاله بحباله
أرى كلنا يسعى ولكن خيرنا
ولو أنه بدر الدجى في تمامه
إذا ما رجي الأضياف ودق غمامه
كما شقيت أعداؤه بحسامه
فها نحن نرجو الفضل عند استلامه
تمسك مطرود بحبل ذمامه
فتى دام يسعى نحوه لاحترامه

بنفس أبيه، وشيمة عربية، وهمة إسكندرية، وسياسة شرعية، ومكرمة
حاتمية، وشجاعة علوية، فما زال كذلك والأيام له مساعدة، وأجفان الردى عنه
راقدة، محفوفاً بأصحاب، هم لدوائر اللطافة أقطاب، ولجيد الظرافة سحاب،
ولرياض النباهة أزهار، ولأفلاك السماحة أقمار.

ترجمة الشيخ علي بن فارس

فممن اصطفاه للمجالسة، وارتضاه للمؤانسة، ورآه معدنا لإكسير أسرارهِ، ومطلعا لشمس أسمارهِ، وصدفة للآلئ أخبارهِ، الهمام الأملعي، والإمام اللوذعي، (علي بن فارس)، الذي هو في كل فضل فارس، الجاني ثمر الثناء، إذ كان لأصوله غارس، بطبع أرق من أنفاس الصب، وأميل من معاطف الغصن الرطب، يفى من أفياء الأدب أفيح فيّ، ونشر مكارمه فطوى ذكر طيّ، وبسط موائد مكارم تزينها أخلاق، ألطف من نظرات الأحداق، فكم كسا سائلا ببرده، تحرجا من جبهه وردّه، على أن هذه الطباع، من طباع أحمد بلا نزاع، إن مدح بالقصائد، فكم منح العوائد، حتى قال فيه لسان الحال.

إليه تنهى المجد والعز والبذل فكل ثناء تم فهو له أهل
يحن إلى الإعطاء حنة عاشق إلى الخل لما أن جفا ذلك الخل

قد روينا عن بعض الثقات، اللاتذنين بفناه، كما لاذت بفنا قناه، أن بعض المملقين، وقف عليه في جماعة ماشين، فالتفت إلى أحدهم وقال، ما نعطي هذا من نوال! فقال: أعطه درهمين، فإنهما عنده بمنزلة العين، فقال: هذا اللائق به لا بنا، ونزع ملابسه فكساه فانتشى، وأنشد بعد ما ولى معلنا:

على قدرنا لا قدر من جاء سائلا تطاوعنا فيما نريد المكارم
إذا رام منا سائل الرغد قدره أتت فوق ما يبغيه منا العزائم
لنا كرم تأبى العزائم أنه يحاكي ولو أن المحاكي الخضارم

وبالجملة فبذله وإن سار كالمثل، وملاً الوهاد والقلل، فإنه من جود أحمد مختزل، كما أن جود الميزاب، من جود السحاب، فما زالا وكلاهما لا يعدل أحداً بصاحبه، ولا يميل لجانب عن جانبه، حتى قال بعض من ألفهما، وعلم ما عليه حالهما، إذا قال ابن فارس له وهو سقيم: قُمْ، قام وهو مما يشكوه سليم،

وسبب تفضيله له، وتعاطيه تعظيمه وتبجيله، ما خول من النجاة، والظرافة واللبابة، إن ملك ناصية الكتابة، فقد كان فيها صاحب، أو ابن العميد الكاتب، بلغ من الحكمة غايتها، حتى صار آيتها، سريع الترس، بديع التأمل، إن أنشأ رسالة، فهي للبلاغة هالة، وبالجملة فهو الكامل في أدبه، الواصل إلى أصحابه بسبب نشبهه، هذا وقد كان البديع في زمانه، والربيع بطيب أوانه، والجلال في إتقانه، والإمام في برهانه، صدراً في المجالس، وبدراً للمُعاشر والمجالس، ونهراً يمدد البحر الزاخر، بالنضار المنثور والجواهر، فبقيا على ذلك أعوام، كأنها في القصر أيام، وسنوات كأنها غفوات، يتجاذبان أعطاف الآداب، ويميلان مع الكرم حيث آب، يفوفان بروده، وينظمان في الأجياد عقود، ويعرفان منكره، ويؤلفان كامله ومشطره:

رب ليل قد أحييناه بصحب	كنجوم السما كرام صباح
ينثران النضار فيهم كما يند	ثر ظل في مزهرات الأقاحي
كل من طبعه نسيم رياح	قد هفت في الرياض عند الصباح
أريحي يهتز عطفاه مهما	هزه المادحون نحو السماح
كشفار الصباح عزما ولكن	في المعالي هم عوالي الرماح
يتعاطون للنشيد فنونا	فيهزون كل روح وراح
وقف الوجد منهم كل طبع	لم يزل للندي كثير ارتياح

وبالجملة فهم كواكب، ولكن ليسوا بغوارب، وبدور عوارف، ولكن غير كواسف، وشموس معارف، لا ينسخها ليل سادف، ورياح كرم ولكنها على الأعداء عواصف، وأغصان شرف على ذوي الآمال عواطف، وأفياء مروءة كل منها ظليل وارف، ولكنهم إنما شرفوا بشرفه، والتقطوا الدر من صدفة، وتعرفوا إلى الفضائل بتعرفه، لاسيما من صار وزيره، ونصيحه ومشيره، الذي أوجبت النباهة تصديره، ورفعت الرياسة مكانه، وزان به الفضل بعدما زانه،

وذلك حين عرف أحمد قدره، وأشاع في أندية الشرف ذكره، وَزَّرَهُ والي أوال، (أحمد بن محمد ذو الكمال)، فزين تلك الوزارة، وجمل وجوه هاتيك الإمارة، بأراء هي السبعة السيارة، لا بل البدور الثواقب، وعزمات هي البوارق في السحائب، وسيرة هي السيرة العمرية، وإن كانت في النسبة علوية، ولا عجب في ذلك يوجد، أن فُضِّلَ عليُّ باتباع أحمد .

ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن موسى

ومن أصحابه الكمل، وجلسائه الذين بهم لا يعدل، (عبدالعزيز بن موسى الهجري)، هو بان تعطر الأذيال أردية الأخبار بذكره حري، قرأ الأدب وهو ابن عشر، وبرع فيه حتى ضاع منه النشر، إن نظم فاق من نظم، أو نثر أراك نثر المجرة في الظلم، كم وشح فيه ورشح، وكنى في مجازه وصرح، وأشار إلى دقائقه ولوح، دمث طرائقه، وحقق حقائقه، وفوف أرديته، وشرف أنديته، ونشر ألويته، وجمل بذكائه غرته، عرج إلى معارجه، ونهج أوعر مناهجه، حتى صار غاية فنه، ونقاية سلافة دنه، وصناجة أربابه، ومفتاح بابه، ومشكاة أشكاله، ومصباح إعضاله، تأدب بالفاضل ابن خنَّين، النازل من العلم منزلة الإنسان من العين، الراشد كاسمه لأسنى المقاصد، الساعي لتقييد الأوابد، ونشر الفوائد، ونثر الفرائد، الحافظ للحماسة لأبي تمام، والهاملية الحنفية في الأحكام، وغير ذلك من الكتب الحسان، كالرائية لابن وهبان، مع عفاف وديانة، وإتقان واف وصيانة، وتؤدة كالطود في الرزانة، رحل إلى البصرة وبغداد، والحرمين وما والاهما من البلاد، نقلته القدرة الربانية، والحكمة الأزلية الصمدانية، من نجد البلدة المعنية، بقول خير البرية، إلى الزبارة من أرض قطر، وحط فيها رحله وقر، وأذاع بها علمه ونشر، وسألوي عنان الكلام، لذكر بعض مزاياه الجسم. تأدب به عبدالعزيز ذو المثاني، فأخذ عنه النحو والمعاني، أدبا لا يدانيه فيه مداني، ولقي بعده من الأجلاء شيخنا الكردي، حافظ عصره فيما

عندي، وأيمُّ الله لم تر عينه نظيره، ولا من يكاد يسير مسيره، أشبه المعري في جزالة المباني، وابن الفارض في دقة المعاني، فهو الفرد الذي ما له ثاني، وقرأت عليه النحو والصرف، فقر لي بذلك الطرف، وشرح سقط الزند للمعري، وحسام كاتي لعصمة فكري، وبعض دواوين العرب، فحصل لي بذلك كل أرب، وذلك في الأحساء أعاد الله عمارتها، وأرجع بهجتها ونضارتها، سمعت منه القرآن برواية حفص عن عاصم، وجملي بالأدب تجميل السوار للمعاصم، كان والله البحر علما، والطود أناة وحلما، له المؤلفات البديعة، والبادرة السريعة، ومما قرأت عليه من تأليفه، الذي لم يسبق إلى ترصيفه، شرح نظمه في حروف المعاني، فبلغت بقراءتي له غاية الأمان، وسأبسط الكلام في ترجمة هذا الإمام، إذ هو من جملة من مدح هذا الهمام، وأفاض عليه من أياديه الإنعام، وأكرمه الإكرام التام.

وممن أخذ عنه عبدالعزيز، الفاضل (محمد بن عبداللطيف)، ووقعت بينهما مراسلة، وإجازات ومساجلة، وسأترجم له، وأنعت بعض أوصاله المكملة، فإنه ممن حظي بصحبة أحمد، وتطوق طوق أفضاله وتقلد، وأما عبدالعزيز، فهو ذو أدب عزيز، وكتابة برز بها أتم تبريز، وبراعة يحتاج لها المجاز والمجيز، كيف لا وقد اتخذ المولى أحمد، صدرا في مجلسه الأنجد، وبدرا في سماء واديه، المطور بسماء أياديه، وقدمه على جلسائه، وفضله على أعيان نظرائه، وجمع له ما قيل فيه من المدائح الحسان، وامتدحه بمدائح هي نظم الجمان، وله نظم هو السحر الحلال، مشتمل على غرر الحكم ودر الأمثال، فما زال من ذلك المولى، بالمقام الأعلى، والمورد العذب الأحلى، ذا فطنة نقادة، وفكرة وقادة، وحلم وأناة، لا توجد في النظائر والأشباه، متصدرا بنسبه وأدبه، لا بثروته ونسبه. توفي المذكور، في عام تاريخه ١٢٢٣هـ أدب يغور، سقي جدت ضمه، بشأبيب الرحمة.

بكته المعالي والخفاف اللهازم
فلا قلب إلا فيه للحزن لوعة
ولا طرف إلا وهو للجري عادم
ولا طرف إلا وهو بالرزء واجم
ولا خد إلا فيه خد ولا ندى
ولا سؤدد إلا وفيه كآبة
ولا صدر إلا فيه للطعم جولة
ولا عرف إلا هذه معول الأسى
وإن فتى تبكي العوالي لفقده
ويبكيه محروم ويبكيه سائل
وأحرى بأن ترثيه بيض عقائل
بكت مقللة العليا عليه بأدمع
وناح عليه العلم حتى كأنه
فكم أطم منه تداعى بناؤه
وكم مشهد منه ولا شاهد له
وكم وارق منه ولا هاصر له
وكم درر منه ولم يك لأقط
لقد فجع الدهر الخؤون به الندى
فلا مزنه يهمني ولا شمسه ترى
ولا ريحه تسرى ولا زنده يرى
فما قام سوق للثنا بعد موته
ولا عبقت في الكون أرواح طيبها
نعيناه حتى أنزف الجفن ماءه
وحتى اصطباري عل مما أبته

وجادت عليه بالدموع المكارم
ولا صب إلا وهو للقلب عادم
ولا عطف إلا وهو للنعي قائم
ولا طرف إلا وهو بالدمع عائم
لك الله إلا قائم الوجه سائم
ولا بلد إلا وفيه مآتم
ولا وجه إلا وهو بالدم قاتم
ولا أنف إلا وهو بالرزء راغم
لأجدر أن يبكيه راث وناظم
ويبكيه مقرر ويبكيه حائم
حمتهن من أيديه بيض مخادم
بكته بها منا القروم الأكارم
بما ناحه حزنا عليه الحمائم
لموته إذ هد منه الدعائم
وكم معلم ما فيه يوجد عالم
وكم بارق منه ولا ثم شائم
وكم أبحر جاشت وما ثم عائم
فها هو مطموس المعالم طاسم
ولا روضه يزهو ولا الثغر باسم
ولا ماؤه يجري ولا النبات واشم
ولا اجتمعت للمكرمات مواسم
ولا أبرقت منهن يوما مباسم
وحتى قلاني للبكاء المنادم
وحتى وهت مني القوى والعزائم

وحتى رثى لي كل قال ورث لي
وفرخ طير الشيب في أم هامتي
وحتى علتني النائبات بأسرها
لئن غيبت في اللحد أعضاء جسمه
فقد كان مفضالا يعيش بسببه
فيا قبره رواك مثنعجر الحيا
فقد حل فيك العلم والحلم والحجى
وقص الخوايف للعزاء القوادم
فلا شق إلا فيه للشيب قائم
وحتى فرتني بالسيوف العظام
فما غيبت أفعاله والمكارم
أرامل تروي مده وأيام
وجازاك للغفران والعفو ساجم
وبحر نوال للأكارم خاتم

ولما أرخت وفاة هذا الإمام، بما أسلفته من الكلام، قيل لي إنه قد
قضى قبله بعام، فأرخت وفاته ثانيا، مثليا عليه ولحقه وافيًا، فقلت أدركه
الردى، في عام أرخه راغب هدى، سنة (١٢٢٢هـ).

ترجمة الشيخ راشد بن خنين

وأما ابن خنين، الطائر ذكره في الخافقين، النازل من المجد والزين،
منزلة الرأس والعين، فإنه قدم الزيارة، وهي في غاية العمارة، باسمه عن
محاسن النضارة، رافلة بأثواب، مفوفة ببنيان الشباب، مائلة بأعطاف، مائسة
بأنفاس الألطاف، كاحلة الأجنان، بإئتمد الإحسان، مخضلة الأغصان، بهاطل
بنان، من لف ببرد المرؤة، وحف برواق الفتوة، وضمته المعالي بمقلها، وعمت
أياديها بقبلها، (أحمد بن محمد) المترجم، المشار إليه بما تقدم، فإنه بدر تلك
البلدة، وزهر هاتيك الوردية، فأكرم الإمام ابن خنين، ووفى عنه الدين بالعين،
وأفاض عليه من بره الموائد، ووصله بصلات هي عوائد، وصيره في معاصريه
صدرا، ولمجالسيه شمسا وبدرا، فدرس فيها العلوم، من منثور ومنظوم، فعكف
على بابه الخادم والمخدوم، ورفعت عليه الهبات بأجنحتها، وحفت به السرات في
رحاب أنديتها، وعمر فيها المدارس، بعدما كن دوارس، وأنشق منها المعاطس،

عَبَّهَرُ الفوائد النفائس، وقمر فيها المنافس، كما قهر المعارض والمعاكس، أن
سكن تلك المدينة، بأعظم وقار وأرضى سكنية، وكان في الإسناد مالکها، فقد
كان أحمد بالإرفاد مالکها، وإن كان إمامها ومسندها، فإنه لم يزل الأكرم
ذروها وأحمدها، وإن كان من مقلتها قرّة، فضله في وجهها غرة.

متى جرت من أيادي راشد حكم جرت لكفيه في أصحابه النعم
وراشد حلة الأديان حكمته وأحمد حلية الأفضال والكرم
لا شك أنهما بحران ذاك جرى علماً وذا موجه بالبذل يلتطم
وذاك للجهل قتال بنائله وذا به يذهب الإملاق والعدم

أجرى على راشد أسنى عوائد من إحسانه، زانها من لفظه نعم، إن
سلسل راشد حكمه، أرسل أحمد إليه نعمه، أو حاك مطرف رسالة، حاك له
بينان الكرم جلاله.

إن كان ينشر للمعارف ما انطوى فيمين أحمد للعوارف ناشره
هذاك تنظر للأساطر عينه وعيون هذا للمأثر ناظره
فهما لنا قمران كل منهما أندى غرر المزايا دائره

إن حلى أجياد الطروس بالإملا، فكم حلى كفه باللها وأملا، وإن وصل
متنا، أسند له بالوصل مننا، أو زين الأفهام بالإفهام، زين له الإكرام بالابتسام،
وإن نظم الفرائد، نثر عليه الفوائد، أو عطر أذيال المدارس بأذكاره، عطره
بعبهر افتخاره، ولو قيل إن الفاضل زهر، فأحمد له وابل المطر.

لو لم يجد مطر لم يبسم الزهر
أو أحمد كذا وراشد قمر
وجهان زانهما من سؤدد غرر
ومقتاتا شرف أبداهما القدر
فعلاهما لهما لناظر الحور

أقام في تلك البلاد، التي هي كإرم ذات العماد، يعاشر أجوادها، ويسامر
زهادها، ويسائر عبادها.

ما زال مشغولاً بنظم نوافل وينشر أذكاراً براح مقاول

يسراه كل قرين فاق الـضـرذق فخراً
وإن جرى في نسيب وإن أفاض علوماً
وإن يقرر دروساً العلم علم ابن ليلي
وزهده إن ترمه وصيته المتسامي
حاكى إياساً ذكاء يحيا به كل فهم
إذا تعسر معنى يا ويح نجد جفته
أو كالضحى حين يسمو ما فيه عيب سواء
وإنه من أناس قوم سمو بسبيوف
وأطروا كل مصر وقادوا بالعطايا
فهم جمال البرايا مخدمون سراعاً

في شعره كابن حُجر وفي الرثا أخت صخر
فاق الصبا حين تسري خيلتها فيض بحر
حكى الدروس ابن مقري وحلمه حلم صخر
كأحمد أو كبشر قد طار في كل قطر
وفي الدهاء كعمرو وإن يمت كل عسر
أراكه وجهه فجر وكان فيها كبدر
على علا كل صدر قد كان سامي قدر
بيض المكارم غر بيض الموارد حمر
بكل من ويسر وبالظبا كل نحر
في كل عصر ومصر إلى ابتننا كل فخر

كأنهم ودق قطر
جردا مطاعيم غتر
متى شكاريب دهر
لفل كـرب مـضر
وسهـلوا كل وعـر
كـبارق حـين يسـري
وكل أعـوج مـهر
بعائـذ الله تـدر
عن الإـمام الأغر
ببـدره كل سـطر
سـبق الجـواد المـبر
ورأسـ رأس وصدـر
قـد جـل عن كل قـدر
ومـدده كل جـر
إلا لأن لم يغر
عيـبا سـوى مـد تـبر

تحيا بهم كل أرض
هم مطاعين أسد
عياد كل مسيف
أراؤهم مصالـتات
قـد وعـروا كل سـهل
سـل عنـهم كل مـاض
وعـامـل وسـنـان
من مـثل قـوم تـسموا
واسـأل مـدارس غـرا
كـنـز العـلوم المـحلى
السـابق النـاس فـضلا
إنـسـان عـين المـعالي
مـقـداره المـتـسامي
لمـجـده كل رـفع
لم يـنقـم البـدر مـنه
ولا تـرى السـحب فـيه

يعنن الآداب للطلاب، ويرسل الأمثال إرسال الجود السحاب، بعبارات
ألطف من أفاظ العتاب، باسمه من مبتكرات الثغور، ابتسامها من ربات
الخدور.

كأنه شنب
يزينها الأدب
وجوهها الكتب
أن ليس تحتجب

يفتر عن أدب
وينتقي حكما
وكم له غرر
تحكي الشموس سوى

رفعته صدورها، وتشرفت به شموستها وبدورها، يشتاقي إلى الأكياس،
اشتياق المملق إلى الأكياس، والساري إلى النبراس.

أبدأ يحن لصحبة الأكياس كحنين ذي فلس إلى الأكياس
أما مجالسه فهن مطالع لكن لأقمار من الجلاس
العلم علم أبي حنيفة والدّها كدهاء عمرو والذكا كاياس
لو أبصر النعمان حسن قياسه لقضى له بالفضل بين الناس
ولقد زهت غرر العلوم بفكره زهوا كزهو الرمح بالنبراس

ألف ورتب، وأبان وأعرب، وأبدع وأغرب، وجمع واستوعب، ونقب عن
دقائق الإصابة، فشأى في ذلك التقريب والإصابة، واستأسد في العلوم، والمنثور
والمنظوم، فدعي فيها أسد الغاية، وتفرس في علم الفراسة، فسبق الضد وألف
راسه، وأودع بطون الدفاتر الحكم، حتى حكم له على جالينوس كل حكم.

طلبت له نظيراً في ذكاه إذا عرض العلوم فما وجدته
وجبت الأرض أفقاً بعد أفق فما أفق لها إلا وجبته
لتبصر مقلتي له شبيهاً إذا ذكر السماح فما عرفته
سوى من كنت أحمده جهاراً وأذكر حاتما مهما ذكرته
يكاد يضوع برد الشعر مهما به طيب الثناء له نشرته

كيف لا وإن كان راشد، في الفضل جعفر بن يحيى بن خالد، فضله
الطريف وفضل أحمد التالد، على أن راشداً موصول له من أحمد الصلة
والعائد، فلقد نشر علمه وقد كان مطويا، وأظهر صيته من بعد ما كان مخفيا،
وكفله بنوالة وكان به حفيا، وقدمه على النظائر والأشياء، وبلغه من مآربه
منتهاه، حتى قال من عاداه، ذلك الفضل من الله، يؤتية من يرتضيه.

ولولا فضل أحمد لم يشع من فضائل راشد ما قد عنيته
ولكن شعاع فضلا في نزار بمن بأبي الفضائل قد كنيته
طويل الباع أحمد من رأيته وأجود من مدحت ومن طريته
وأشهر من نشرت له ثناء وأظهر من يسامي النجم بيته
وأشجع من هزبر وسط غاب إذا للحرب في أسد دعوته

قد طابق اسمه مسماه، فما زاغ عن الرشاد من اقتفاه، برز في الأقطار
النجدية، بروز البدر في الأقطار الفلكية، وبرع في الأحكام الفقهية، حتى أبان عن
الدرر، وأغرب في النوادر اللغوية، حتى قمر فيها ومهر، وأعرب عن المشكلات
النحوية، حتى خلناه أبا عمر إذا نظر، تخرج على علماء بلده، وعظماء محته،
فشأى في العلوم أعلامها، وتصدرها فدعته إمامها .

متى جارى أخا علم شأى فيه الذي جارا
فما بحريجاريه وإن في مده جارا
وهل يلقى محاكي من أراه لعللا جارا

طاوعته شمس الأشعار، حتى انتقى منها المنتقى والدر المختار .

إن طاوعت أفكاره الأشعارُ وتشرفت بيراغاه الأسطار
فهو الذي سمت المدارس باسمه وتعطرت بصفاته الأعصار

فما زال في نجده، مرفوعا على نده، مشغولاً بعلمه عن خلمه، مجالسه
بالأذكار معمورة، ومدارسه على الأخيار مقصورة، الكرماء مؤانسوه، والعلماء
مدارسوه، عمر المدارس بالإسناد، والمجالس بالظرائف والأمداد .

مهما بدا في صدر مدرسة أبدي بمقوله لنا زفرا
وإذا جرى في مشكل شرس جلاه حد ذكائه وفرا

ناظراً في الشعر الصفي، فصار شعره المختار الصفي، وبرز في المعاني،
على السكاكي والجرجاني، وإمام المكتين، في دقائق الأصلين.

وحسبك من إمام المعني لقيت به إمام المكتين
وعمر النحو إلا أن هذا إمامهم بكلتا الكوفتين

ولو ناظر جار الله بالجدل، لما زلّ واعتزل، ولأنشد فيه وارتجل.

سألت العلوم وأريابها عن العلم المفرد الأكمل
فقالوا الذي كاسمه راشد لحلّ العويص وللمشكل
إذا قيل من لندي أو فمن يرجى لندي الزمن المحل
ومن للعلوم وأبحاثها ومن للدقيق من المعضل
ومن للخلاف ومن ذا الذي إذا ما القضايا تعاصت عليّ
وحق النكات وأسرارها ومعنى خفي لها أو جلي
لما نظرت مثله واحداً عيوني ومن يتهم يسأل

فما زال يفيد، ويجدد ما درس ويعيد، فمرايع العلوم بصيب تقريره
مخضرة، وثغور الطروس عن درر تحريره مفتره، إلى أن خرج من وجاره،
وبان عن أهله وجاره، إلى البلدة التي هو فيها راشد، وأحمد فيها الزند
والساعد، وجف منه العود، وأتى عليه الحمام الموعود، وغسل بالدموع، وكفن
بالخشوع، وحملت جنازته الأعناق، وتسابق إلى تلحيده البار والعاق، فالعيون
عليه ساكبة، والقلوب برزته واجبة، والكواكب كاسفة، والرياح عاصفة، والوجوه
مغبرة، والآفاق محمرة، فلا غرو أن أبَّ بن بهذه الدرّة.

على مثله تبكي السراة وتندب
وتبكيه أجفان السيادة والعالا
وتبكيه أفعال له وفواضل
وتبكيه أبحاث دقاق وأوجه
ويندبه كتب له ظُلن بعده
وتبكيه أقلام جرين بأمره
وتبكيه أسطار كأن سوادها
ويبكيه إسناد ويبكيه مسند
ويبكيه واد من أياديه سائل
وتهتز من حزن عليه معارف
وتكسف من أفق المفاخر شمسه
فلا خد إلا فيه للدمع راجف
ولا بلد إلا له فيه مآتم
فلا غرو أن تلقي السموات جلدتها
بكيناه حتى ناوحتنا مكارم
فقد كان مفضالا إذا اعتر سائل
فقد كان بحراً للعلوم خضارما
وقد كان صدرأ في المعارف مفردأ
فتى جمع الله العلوم بقلبه
لئن ضمه قبر وواراه ملحد
وإن فتى يبكيه شمس وغاسق
وأجدر أن تزجى المراثي لقبره
فويح المنايا كيف تنشب سهمها
فإن تضره بالناب تضر قلمسا

ويسود وجه المكرمات ويقطب
ويبكيه ناد من عطاياه مخصب
تنيف على عد الثرى حين تحسب
تجلبب إلا عن ذكاه وتحجب
وغودرن لا أم لهن ولا أب
فها دمعا يجرى عليه ويسكب
على صفحات الطرس رزء وغيب
ويبكيه متن للحديث ومنكب
ويبكيه ناد للمعالي ومنصب
هي البحر إلا أنه منه أعذب
فلا وجه إلا من أساه مقطب
ولا قلب إلا فيه للرزء مقنب
ولا مآتم إلا له فيه مندب
عليه ويبكيه من الأفق كوكب
لراحته كانت من النعي تنضب
وأرمل محروم وأعوز مطلب
على كثرة الورد يحلو ويعذب
ولكنه في مجمع البحث موكب
فها هي ذي تنعى عليه وتندب
فيا طالما عن علمه ضاق سبب
لأجدر أن يرثيه شرق ومغرب
فيسمعها عدنان والغريعب
بنحر امرئ ريح الهدى منه تنشب
بمثنى الأيادي دائماً يتصيب

لعاتبت حتى إنه لي يعتب
لك الله وردٌ كلنا منه نشرب
وقد كان في لذاته يتقلب
عليه ولكن التأسى أطيّب
ومن للقضايا في المجمع يطلب
فما ثم رشد بعده يتطلب
وغاداه للرضوان والعفو صيب

ولو أن هذا الموت يفلت واحدا
ولكنني أدري وأعلم أنه
فكم من عظيم قد تقلب في الثرى
فلولا التأسى كنت أول من قضي
فمن للخصال الصالحات وللندی
قضى كل رشد إذ قضى الخير راشد
سقى قبره للرحم كل مجلجل

ولما حبرت فيه المراثي، ونزف عليه دمع الموالى والرثي، أشفق أولاده
من الضيعة، إذ لا مال لهم ولا ضيعة، إلا نوال أحمد المرسل على والدهم،
القائم حياته مقام طارفهم وتالدهم، وخافوا أن يكون غير عائدهم، فبلغ أحمد
منهم الإشفاق، فوصلهم إذ كان ابن رزق بالأرزاق، فأياديهم لم تزل موصلات،
من عوائد أياديه بصلات، فالله معز بنوالة، قبل مقاله، فانقلبت عنهم وهم في
ظلال آماله، قائلون في مقيل أفضاله، مضافون إلى غاية كماله.

منه صلوات فهي منه عوائد
بحصولها سعد الأعز الوالد
وندى ابن رزق الآملين العائد
أبدأً ومجريه عليهم واحد
كالزهر باكره ملث جائد
يحيا به يحيى وينشر خالد
شكراً كما شكر السحاب الواعد
وجبين أحمد في نداه الشاهد
ركن يقبله المسيف الوافد
فيه على رغم الحسود العائد
بان وساعده عليه مساعد

إن كان قد شملت أباهم قبلهم
لا غرو أن سعد البنون بها كما
بذل له الموصول حتماً راشداً
فالمكرمون به كثير عددهم
أبدأً لدى الإفضال يبسم ثغره
ما زال منه الفضل يرسل جعفر
إني لأشكره وأشكر فضله
كل يراد على نداه شاهد
إن المكارم كعبة وييمينه
والمجد محراب وقائم فضله
والعز فسباط وقائم سيفه

إلا مكارمه فهن شوارد
مع أنه في الفضل فرد واحد
وعلى مصافيه الزلال البارد
بنقائص هي في علاه زوائد
كأنها رأي العيان قلائد
أتظن يهدمه بقول حاسد
كرم على طيب العناصر شاهد
كانت ليحيى قال فضلي خالد
هو في الوغى والمكرمات الناهد
فضخاره بين الأنام التالد
فيه من الشعراء يلقي حامد
فأنا امرؤ في مادحيه الذائد
هو بالمخادم والمكارم واطد
لم يدر أيكم الأجل السائد
أم محسن أم ذو المعالي خالد
نضبت مواردها وصد الوارد
فتجملت ببروقهن مقاليد
فتزعزعت مما تجن مأسد
حتى انتهى لكم السماح الزائد

كل مكارمه تقيد تارة
جمعت به غرر الصفات بأسرها
نار بقلب المبغضين وجدته
حسدوا علاه فهلهلوا يرمونها
بفواضل في لبة الشرف التليد
شرف يوطده ظبيّ وعواسل
من معشر شم الأنوف يزينهم
فضلوا الوري بمكارم لو أنها
يا آل رزق فافخروا بمتوج
إن كان للكرماء فخر طارف
لم يبق في الأقطار قطر ما له
إن كان في الكرماء يدعى حاتما
فخراً بنيه بكل فخر باذخ
هل أنتم إلا غطارف سادة
أمحمد أسراكم أم يوسف
أجريتكم عين الندى من بعد ما
وسللتكم بيض الصوارم في الوغى
وأخفتكم الآساد في آجامها
وختتمتم الكرماء في أيامكم

ترجمة الشيخ عبدالله الكردي البيتوشي

ثم لم تمض إلا ليال، هي أقصر من ساعات الوصال، حتى وفد عليه
الفاضل الإمام، في بلده التي هي كدار السلام، (عبدالله بن محمد الكردي)،
الفائق بشعره الكندي، أحد الأدباء الكرام، والأقطاب الدائرة عليه رحي النظام،

والبحر الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تقاوم بالأفهام غواربه، والسماء التي لا تأفل
كواكبها، ولا تبخل بالجود سحائبها، ولا يكتنه مقدارها، ولا تخسف أقمارها،
والمزنة الدافق مطرها، والروضة الوارق زهرها، قد رحل وهو غلام، إلى بغداد
والشام، وارتفع له المقام، بلقائه الأولياء والزهاد، وروايته عن العلماء الأمجاد،
بعلو إسناد، ألحق به الأحفاد بالأجداد، فاستفاد وأفاد، واستجاد وأجاد، وبحث
وحقق، وقرر ودقق، وأبدع وأنق، وقيّد وأطلق، وحرر وحبّر، وعجز وصدّر،
واختصر وطول، حتى صار في الأدب الأول، تأدب بالفضلاء، وتهذب بالنبلاء،
وكتب فملك من القلم الناصية، وصار فيه بمنزلة السنان من العالية، وخطب
فأقرت له مصانع البادية، وألقت إليه المسائل النحوية الأعنة، فاجتتى زهر
رياضها المغنة، وأماط عن وجوه مخدراتها الأكنة، إن بحث في أدب البحث
والمناظرة، كان بغزارة العلم ناظرة، أو في دقائق الهيئة فهو مركز الدائرة، أو في
الحكمة فهو فيها الأمثال السائرة، قد قمر السيد في التعريف، وابن الحاجب
في التصريف، ولو رآه التفتازاني بالناظر، لقال إن هو إلا عبدالقاهر، أو
السكاكي والخطيب، لأقرا له في التلخيص والتهذيب، بدع في علم الميزان، حتى
غدا ابن سينا في البرهان، وإن جرى في حلبة الأصول، أفاد حاصل التحصيل
والمحصول، فلا غرو أن يحتاج المحصل إلى علمه، والمترسل إلى نثره ونظمه،
والمشكلات إلى فصله، والمعضلات إلى حله، والمهمات إلى إيضاحه، والمعظمت
إلى مصباحه، والمقدمات إلى إنتاجه، والمطالب إلى احتجاجه، والأقلام إلى
بنانه، والأحكام إلى برهانه، والأجواد إلى مدحه، والمغلقات إلى فتحه، والمساند
إلى تصحيحه، والمعارض إلى تصريحه، والإشارات إلى تلويجه، والعبارات
إلى تتقيحه، والبلاغة إلى تبيانه، والبيان إلى إيضاحه وبيانه، والمعاني إلى
إشارات، والمباني إلى عباراته، والأغاني إلى إنشاده، وخذود الطروس إلى
مداده، والأشعار إلى قوافيه، والأسمار إلى نواذر فيه، ونحور الشواهد إلى
عقود إعرابه، وصدور الفوائد إلى نهود آدابه، ولئن اشتهر صيته وطار، لقد

علا على زحل في سمو المقدار، وشفاء ذكاء في رابعة نهار، واحتاجت إليه المسائل، احتياج الأرض إلى الوايل، والذابل العسال إلى العامل، والحسام إلى الغرب، وبوح إلى الشرق والغرب، والبدن إلى الروح والقلب، وتجملت بدرره الأشعار، تجمل المعصم بالسوار، فافتقرت إليه الأدباء افتقار الصب إلى نشق الصبا، واهتزت إليه طربا، اهتزاز أفنان الربى.

إذا نشرت يوماً مطاوي نظامه
بلفظ شأى نظم الجمان طلاوة
هو الشعر عقدا نظمته يد النكا
كما أن مدح القرم أحمد ذي الندى
إذا أخذ الكردي في نعت أهيف
ومهما جرى في مدح نهد وناهد
وإن كان في وصف الخراعب منجداً
وإن أعرقت أشعاره في خرائد
بمجلس آداب قضي أنه الكندي
ولكنه في الفكر أحلى من الشهد
وشعر الفتى الكردي واسطة العقد
لك الله ورد المجد أو زهر الحمد
أراك الهوى العذري يصبو إلى الكردي
تيقنت أن لا وجد إلا إلى النهد
فلا قلب إلا وهو يصبو إلى نجد
أراك قلوب الناس معرفة الوجد

إذا نظم الفوائد في لبات السطور، أبصرت به الفرائد في النحور، وقد رحل إلى الحرمين، فدعي إمامهما، ودخل الكوفتين، فشأى حسنهما، ومعظمهما، ووصل الأحساء فصار رأساً في صدورهما، وأرسل مدائح الكرماء فسبق مالكا ومتمما، حن إليه كل كتاب، كما حنت إلى آدابه الآداب، وإلى مفاكته الأصحاب، وإلى ملاطفته الأنجاب.

في العلوم له قدم راسخ
حسن في الهدى فضله شرعه
وفضائله وفواضله
قد حوى السود والعود لما بدا
وله في العلا سؤدد شامخ
ما له في الورى بعده ناسخ
كل عن عدها النسخ والناسخ
فسما وهو في بذله شارخ

قدم الزيارة، بالمدائح المختارة، فحمد بها أحمدها، ومالك زمامها،
وزهرة أكامها، وغرة كرامها، وزبدة أختيارها، وشهادة مشتارها، وبوح سمائها،
وروح ثنائها، فكانت بحمد سائرة الأمثال، فاقدة النظير والمثال، ووقعت في
مسامع الأفهام، مع ارتجالها موقع ذوات الأعلام، وفضلها الخاص والعام،
على حَوَلِيَّات زهير في الانسجام، كيف لا وهو لابس برودها، ومتقلد عقودها،
أحمد البرية في عصره وأسمائها، وأجودها في مصره وأنداها، فأجازة بالدرر
المنثورة، والحبر السابغة المجرورة.

أفاض عليه من نعماه حتى رأينا الدهر من بعض المفاض
وأكرمته بتبر من رآه يصور أنه زهر الرياض
وأتبعه دراهم صافيات كأن صفاءها ماء الغياض

وأنزله في منازل، هي مطالع لشموس الفضائل، وأنسه بالعشي والبُكر،
بأدباء غرر، وأماثل أفاضل، ألطف من الغصن المائل، وسامره بمسامرة، تفوق
على الأغاني والمسامرة، وعاشره بظرائف معاشرة، جمع له فيها أخبار مصر
والقاهرة، فهو وإن وفد عليه، فقد شاطره لما في يديه، فرجع له ببدر، هي
لوجوه الأكياس غرر، بعدما مضت عليه أيام، كأنها سنوات منام، كأننا منه عين
أنسه، وفضل جنسه، مصحوبا بفضلاء بلده، وسراة نبلاء محتده، حالا منهم
محل الروح من الجسد، أو محل أحمد من البلد، أو محل الإنسان من مقلته،
أو الركن من كعبته، أو المعنى من لفظته، مشهورا بالعلم، مسرورا بالعلم،
مضروبا ببلاغته المثل، مملوءة بحكمته الوهاد والقلل، محدقة به من الأشراف
المقل.

في محفل إن قام أو محضر أراك مجد الدين منه الجوهرى
وإن تبدأ ناظما في معشر أسقط من فيه نظام
أكرم به من عالم محرر وناظم موقوف محبر

ومبدع يضتر ثغر الأسطر
لولا مزاياه التي لم تحصر
فكم علوم منه مثل الزهر
فأرجت أذيال كل دفتر
كأنها الحور ولو لم تقصر
وحلية لصدر كل مفخر
من كل خطب مكفهر منكر
سال على خد الصباح المسفر
من زهر البيان غض نضر
عن حيب من نظمه كالدرر
لم يشتهر في الأرض فضل حمير
نشرها وقبله لم تنشر
وكم له من مبدعات غرر
فهو جمال لوجوه الأعصر
يراعه يفعل فعل الأسمر
يجري دموعا كالظلام المعكر
فتضحك الأسطر عن منور
إن كان في النظم بديع النظر

فأحمد ربيع صاوي البشر

وعندما تم له المراد، من الجواد المبر على الأجواد، وصفا له المشرب،
وارتفع له به المنصب وتأشب، ورفع له عماد ذكره، في أفاضل مصره، الذي لم
يخلق مثله، ولم يتفق في الآفاق شكله، انصرف بمواهب هي سحائب، وبمطالب
هي مراتب، وبعقود عوارف، أكفه لها سواف.

أتى بالشعر وهو أقل شيء
وجاء إليه عاطلة يداه
وفضله على النظراء حتى
وبلغها مراتب لم تطق أن
فجوزي بالنضار وباللجين
فحلى بالندی منه اليدين
رأيناه ذكاء رأي عين
تناوشها أكف الشعريين

مقابلا بالكرم عن الحكم، وبالإعظام عن النظام، مطوق الأجياد،
بقلائد الإمداد، قرير العين، بنثر العين، راجعاً بالذهب، عن نظم الأدب، حتى
آل إلى أوال، فألقى عصا الارتحال، في ندوة ابن فارسها علي، المرتضى في
العلم الحرifi، الرضي في الديوان الشعري، فأطلق فيه كل روي، وقيد فيه كل

ثناء روي، ونعته بكل وصف بديع غري، فكحل بمراد كرمه عيونه، وأرسل عليه جداوله وأفاض عيونه، ونادمه منادمة أحد نديمي جذيمة، وكان جديراً أن يكون الفرقد نديمه، وأحله من بلاده، محل الزهر من أوراده، أو النهد من الصدر، أو الضوء من البدر، أو محل علي من وجوه العصر، أو الفارس من الصهوة، أو السري من صدر الندوة، أو النبت من الربوة، أو الصفة من الرغوة، أو المجدود من الخطوة، أو الصهوة من الفلوة.

ثم انتقل عنه راضيا، وإن كان لفراقه باكيا، ورمت به الأقدار، على أجنحة الأسفار، إلى قبة الإسلام، ومعطن سروج الكرام، ومعدن الأفاضل الأعلام، البصرة العمرية، والبلدة البرية البحرية، فانضاف إلى أحمد نازليها، وأمجد فاضليها، وقبلة عائليها، ومستلم سائليها، وريحانة مجالسها، وجمانة نفائسها، (أحمد بن درويش العباسي)، غرة وجوه المحاسن في الأناسي، فمنحه بالعوائد، قبل أن يرشحه بالقصائد، التي هي نسيمات الأسحار، ونغمات الأعواد والأوتار، ونظرات الأزهار، وأجازته بإجازات، هي لحاتم إلى الكرم مجازات، وأفاده بفوائد، هي للبات المحاسن قلائد، ونثر عليه الفواضل، قبل نثره الفواصل، ونظم له الصفر والبيض، قبل نظمه الضروب والأعاريض، وشاد له بعد وروده بأيام، مدرسة في البصرة كالنظامية في دار السلام، لكن أيدي الأقدار، منعهما عن بلوغ الأوطار، فاخرمت المنية المدرس، قبل أن يقرر ويدرس، والواقف قبل إتمام الوظائف، فرحمهما الله رحمة الأبرار، وأدر عليهما شأبيب العفو المدرار، فبكى عليهما كل يفاع، وأعمل في مراثيها كل يراع، فمن بعض ما رثي به عالمها، ما وشى به حال النظم راقمها.

على مثله يبكي يراع ودفتر	وتبكي أعاريض عليه وأسطر
وتبكيه أجزان القضايا بأسرها	إذا نزلت يوماً ولا ثم حيدر
وتبكيه أبحاث الأعاريب إنه	أبو بشرها إن عاص منهن مضمير
ويبكي عليه النثر إن قيل هل فتى	أبر على سحبان إن قام ينثر

ويبكي عليه النظم إن قيل هل فتى
وتبكي عليه للمدارس أعين
ويبكي عليه العلم عطل نحره
وتبكيه أبحاث له ودقائق
ويبكي عليه حلمه ووقاره
ويبكيه محراب له ومنابر
ويندبه الطلاب إن عاص معضل
كفى حزنا أني أمر بقبره
فلا دمعتي ترقى ولا سلوتي ترى
وحق علوم زاخرات بقلبه
وعهد له عندي بقلبي طويته
لقد هاجني وجد عليه ولوعة
وعز عزائي واستحال تجلدي
فها أنا ذا بالي الشوى متغيرٌ
وكيف اصطباري أو سلوي عن فتى
مشار إليه بالأصابع منذ بدا
ولكنه للخير والبر فاعل
ومشتغل عما نهى الله بالذي
وتمييز أرياب الضلالة والهدى
همام ينادي للجميل وفعله
وما زال مغرئاً بالكارم مولعاً
مضاف إليه كل فضل وسؤدد
تحن المعالي نحوه وهو في الثرى
سقى قبره مزن الرضا وتسحبت

لغر القوا في المرضيات يحضر
جرين على خد الهدى وهي أبحر
ويا طالما منه بدا فيه جوهر
تبرقع إلا عن ذكاه وتعسر
إذا جال في برد الشقاق الموقر
أحال عليها بالمأثر يأمر
وأشكل إشكال وأعوز مظهر
فأمضي وقلبي بالأسى متكسر
ولا ترحي يفتنى ولا الصبر أقدر
ومثعنجات من ذكاه تفجر
ولو أنه بالقول مني ينشر
لها بين طيات الضلوع تسعر
وأعوزني مما أبث التصبر
وها أنا ذا واهي القوى متحسر
بذكراه أذيال الهدى تتعطر
متى قام في نادي البلاغة يجهر
ولو أنه للعلم والحلم مصدر
به الله من أسنى المقاصد يأمر
فها حبه تقوى وبغضاه منكر
ولو أنه عما يضير محذر
لذن شب حتى شاب منه المعذر
ولو أنه بين الورى متصدر
فبطن الثرى مذ ضمه الدهر يفخر
على تربة وارتته للعضو أبحر

وأشمت أعداء ولج معير
ولو أن دمعي ما أبكيه أحمر
واني عليه بالبكاء مقصر
لأحقر شيء في علاه وأيسر
وكيف بروزي وهو في القبر مضمّر
فأوصافه فينا تذاع وتظهر
إذا حضر الأخيار فهو المصدر
عفاً ولم يلتم بناديه منكر
على صفحات الكتب بالطرف تنظر
إليه ومن شأن العميد التذکر

واني لأبكيه وإن لام لائم
وأبكي له بيض الصفات وغيرها
وأندبه في بكرة وعشية
فلوقمت أبكيه الليالي إنه
وكيف رقادي وهو في اللحد راقد
فيا قبر إن أضمرت ظاهر ذاته
ويا جنة الفردوس بشراك بامرئ
أغر من الفتیان لم يألف الخنا
سأبكيه ما دامت شמוש علومه
وما هتفت ورق فهجن صبابتي

قضى شيخنا ذو الأرب، في عام أرخته جاه غرب، سنة (١٢١١هـ)،
ولما بلغ أحمدا نعيه، قال إني على ذريته وصيه، وأمدهم من بعده، وبلغهم من
كرمه أسنى أمنية، حتى اقتضى ابن درويش، فما زال لهم بالهبات يريش، اقتداء
بأحمد المقدم، فيما أفاض عليهم وأسجم، فهم في ظلال نعمه، ملحوظون
بلوا حظ كرمه، ممطرون بديمه، راتعون في رياضه، كارعون في حياضه، على
أنه وإن أجرى عليهم كل جاري، وقلدهم باللآلي والدراري، فشأى بالفضل
ابن مامة، وأخجل بالسيل الغمامة، لا أرى كرمه إلا نتيجة تلك المقدمة، ولازم
هاتيك الكلمة، وجذوة من ذلك الزناد، وزهرة من أزهار ذلك الواد، وقطرة من
ذلك الغادق، ولمحة من ذلك البارق.

وحنا عليهم بالسماح الدافق
لندی ابن رزق في الزمان السابق
يدعى ابن رزق من قبيل الخارق
فرسا رهان في الندى المتسابق
معه وذا يجري أمام السابق

عم ابن درويش أباهم بالندی
لكن ذاك البذل منه نتيجة
كل له كرم ولكن جود من
والحق كل الحق أنهما لنا
لكن ذاك هو المصلي إن جرى

فخراً بني هذا المعظم بامرئ
ومكارم غر الغمائم لم تزل
ومحامد تحكي الرياض نضارة
ومقاعد هي للبدور مطالع
شيدت بأطراف الأسنان والظبا
كم من مكان قد سفرن بأفقها
إن تفخروا فبكل فخر باذخ
أو تشمخوا فبكل جد شامخ
أو تكرموا فبكل بحر زاخر
لا غرو أن نشب الثنا يغشاكم
إن تشغلوا الأيدي بسبيكم فكم
زينتم بالبيض جيد معاند
وسبقتهم بالمجد حتى طلتم
وجعلتم غر الوجوه مصابحاً
ولكم فلقتم للعدو فيالقاً
وشققتم فلق السيوف بمأزق
وجنيتم النصر العزيز من القنا
ومددتم غصن المروة فاغتندي
ورقوتهم خرق العلا بمخادم
وفتقتهم برد الغبار بأوجه
وأظلكم سمر القنا عن جر ما
وجزمتهم غلب الطلا وكسرتهم
وحميتهم طرق العلا بصوارم
ووضحتهم ما انسد من طرق الندى
وملاذ مطرود ومأمن خائف

فخر الورى بالمشرفي البارق
تهمي وإن أصبحن غير بوارق
لو كن في الأيام ذات شقائق
مع أنها للفضل خير مشارق
وتأطدت بفواضل وسوابق
يبدين بيض مباسم ومفارق
أو تمجدوا فبكل مجد شاهق
وبكل أنف للسيادة ناشق
أو تسبقوا فبكل جد سابق
ويحن نحوكم حنين الوامق
أشغلتهم بالمدح مفصل ناطق
تزيينكم بالصفركف مصادق
هام السماك بكل مجد سابق
تهديكم للسؤدد المتناسق
والأرض واجفة بقلب خافق
حرج بكراً مقانب وفيالق
يهتزبين خواصر وعواتق
فينان يرفل في غلائل وارق
للمعضلات المشكلات خوارق
بيض الصفاح وكل غضب فاتق
وقدته من شرر حدود عقائق
بعواسل الأرماح كل مشاقق
ما زلن في الأعناق ذات طرائق
بمكارم كالساكبات دوافق
وغناء محتاج ومنية طارق

وررياض مرتاد ومورد حائم
دوموا كما أنتم خواطب للعلا
وذروا التكاسل عن مآثر شادها
وظلال محرور وعنبر ناشق
بذوابل تزهو بغر خوارق
ذاك الهمام بكل فضل رائق

هكذا وما زال أحمد في بلاده، رافلا في غلائل إسعاده، جائلا في أودية
النعم، مائلا في صفو الكرم، باسق الدوحة، باسم الغدوة والروحة، مرابعة
باسمة الأزهار، ومجامعه طالعة الأقمار، ومغانيه معمورة بمثانيه، وزواياه
سافرة بمزاياه، ومعاليه زاهرة بأياديه، وأيادي سؤاله، محلاة بأفضاله، وفرائد
هباته، قلائد في لبات أوقاته، وصلات عاداته، لا تنفك عن موصلاته، وكواكب
اشتهاره، شاعة في سماء افتخاره، وثوابت مقدره، في مراكز اعتباره، ومآثر
إنصافه، على صفحات أوصافه، وشموس سعده، في مطالع مجده، تتباهى به
الأوقات، وتتفاخر بمحاضرتة السادات، وتزهو به مجالس، هي لأرج المكارم
معاطس، وتسمو به مراتع، هي للرواد مراتع، وتروق به محافل، بالأدباء حوافل.

محافل فيها للكمال مغارس
يعطرها منه نضائس سوؤد
محافل شادتها يدها أرائكا
سفرن وجوهاً عن وجوه لطائف
شمخن فلم يلمسن راحة شامخ
وأصبحن للأمال ركن مكارم
وما خضعت يوماً لأخمص دائس
مساكن إلا أنهن مطالع
حماها بأطراف القنا وبواتر
وأطدها حتى تسامت مراتباً
فيا لمغانٍ دونها البدر نازل
بنتها أيادٍ منه شاهقة الذرى
وفيهن للأداب والعلم غارس
وناهيك من مغنى شذاه النفايس
نوادره من فوقهن عرائس
تنافس في إدراكن المجالس
ولو أنه للشمس باليد لامس
يفاخرن في تقبيله وينافس
ولو أنه فوق السماكين دائس
لأقمار تم ما لهن مجانس
لأعدائه منه الكمي الممارس
فلا بدر إلا دونها متقاعس
ويا لمبانٍ دونها النجم خانس
لها استصغر الإيوان كسرى وفارس

يباكرها الوفاد تأمل رفدها
وتصبو لها من كل أفق شموسه
منازل فضل للفواضل أعين
زهت بمزايا أحمد مثل ما زهت
فلا عجب أن يترك البدر داره
فإني إخال البدر يكمل قدره
فتى لفة والجود برد مطرف
فلا بذل إلا وهو بالكف ناسج
ولا شرف إلا له فيه سهوة
ولا طرف إلا له فيه رائس
إذا ناظرته السحب فضلا ونائلا
وإن بارزته في الوطيس بياهس
فتخشاه في أعمادها البيض في الوغى
وترهبه الأذراع وهي جداول
وتفرق منه السمور وهي أساور
إذا ما اصطهى سرج الجواد فإنما
ولو جالد المدعاس جاء بأقرع
متى ذكر الأختيار في ندوة الندى
فمن قال إن العصر يأتي بمثله
كفاني علا أني أفاخر باسمه
فكيف بقوم قد نماهم فخاره
بنوه العلا طالت بهم كأبيهم
قلامس في الجدوى هرامس في الوغى
غطارف زانتهم عناصر محتد
بمثلهم يحلو القريض وتجتلي

وتستوهب الإمداد منها القلانس
كما قد صبت للورد هيم خوامس
كما أنها للنشر منه معاطس
بزهر رياض أو بزهر حنادس
فينزل منها حيث أحمد جالس
إذا جمعته وابن رزق مجالس
وأرضعه والمجد بيض كوانس
ولا فضل إلا وهو بالكف لابس
ولا سهوة إلا لها منه فارس
ولا رائس إلا له منه حارس
رجعن وكل منه خزيان ناكس
تقاعس للأعقاب وهي هجارس
وتشفق منه للروؤوس القوانس
وتحذره الأسياف وهي مقابس
ويهرب منه في التعادي الهرامس
هو المرء قيس تحته كرادحس
أسيرا ولم ينقذ بالسياف حابس
فنافس به من كان فيها ينافس
فذلك للحق الصراح معاكس
وأسمو بجذواه الذين أنافس
على شرف يسمو به المتنافس
محافل تزهو بالندى ومجالس
إذا اشتجرت بين الكمأة المداعس
لغرس الندى والمكرمات مغارس
خرائد مدح فيهم وعرائس

ترجمة الشيخ محمد بن عبداللطيف الأحسائي

هذا وممن حظي بصحبته، وحلى عاطل يده بهبته، (محمد بن أحمد بن عبداللطيف)، مد الله عليه ظل عفوه الوريث، فإنه ممن أجاد حمده، فأجاد له مده ورفده، إذ قرضه بقصائد، هي لسوالف الأدب قلائد، ونظم له من صدف الأشعار، فرائد أذكار، تأنف عن لبات الولات، وأرسل في محاسنه أمثال، هي في أعناق الأعصار كالمرسال، ونشر له مثاني، تبلغ ناشقيها الأمانى، قد قرأ العلوم اللغوية، حتى صار فيها القاموس، والحكمية حتى أذعن له جالينوس، والنحوية حتى لحق ابن مالك، والحديثية حتى كأنه مالك، والفقهية حتى انفرد عن المشارك، والبيان والمعاني، حتى برز على الجرجاني، وعني بعلو الإسناد، حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وبعلم الأعداد، حتى أقرت له لو أوجدوا الأنداد، فهو العمدة في عصره، والوردة في رياض مصره، والشهدة لمشتار الحكم، والعهد الهائلة الديم، والعدة في الخطب إذا دهم، على أنه منهاج الطلاب إلى الإرشاد، ومصباح الأصحاب إلى إيضاح الأمداد.

كم أرانا الإيضاح من منهج البح
ومتى ما جرى يقرر درسا
ولئن سابق الأفاضل في العلم
لقد كان فيهم كالجراد
ث منير المصباح بالإعداد
خلته جارياً بفتح الجواد

تخرج في بلده ومصره، على أبيه ريحانة نظرائه في عصره، وغيره من الأجلاء العظام، والنبلاء الأفاضل الأعلام، وتآدب بهم، فألحق بنسبهم، وطلع بداراً في سماء رتبهم، وبلغ من فن الأدب الذروة، واعتلى من مهره أعلى الصهوة، وتقدم حتى قر الدعي فيه القدرة، ولئن كان فيه الغاية، لهو أجل من حمل له بها راية، وتلا له آية، وسلسل منه رواية، وأعمل في دقائقه روية، وأرسل من بدائعه الخفية والجلية، وأروى بذكائه زنده، واعرورى منه التعلقة والوهدة، والتقط منه الدررة والوردة، واشتار منه ببنان ذوقه الشهدة، وجر على منوال نطقه المطرف

والبردة، وحل ببيانه منه العجرة والعقدة، وأضحك من رياضه أزهارها، وأطلع في سمائه أقمارها، وأجرى مهار ابتكاره، في ميدانه ومضماره، حتى دعي شراب نفعه، ومصقع جمعه، ومطمح نظره، وملمح غرره، ومزهى زهره، ومنبع زلاله، ومنجع سؤاله، ومفرع أفنانه، ومسمع آذانه، ومرتع غزلانه، ومغرس نخلاته، ومقبس شعلاته، وفوق نبالاته، مذ خاض فيه فوقه، نفق في أوقاته سوقه، وبرقت بالأمطار سحائبه، وأشرقت بالأفكار كواكبه، وأورقت بصوب الابتكار قضبانه، وماس بنسيم الأشعار بانه، وتسلسلت جداوله، وبرزت من الخدور عقائله، وكادت تسيل من الأعماد مناصله، وتروق نثر المجرة نواصله، وتفاخر نظم الثريا، فتجعل حملها جديا، وتقابل النيرين، فتفضحهما رأي العين، كيف لا وهو الحائك برودها، والناظم في سوائف الطروس عقودها، والمطلع في صدور الأسجاع نهودها، والهاصر بنسائم الذكاء عودها، والمظهر من أخبيتها سعودها، والمطرز أذيالها، والمبرز من آفاقها هلالها، والحامي حقائبها، والسامي مناصبها، والمجهز بالأفكار مقانبها، والمجلي بالأنوار غياهبها، والمصفي من قذا العور مشاربها، والموفي لها حقها، والراي في لها خرقها، والمرخي أزمته، والمسرح لها لمتها، والواشم معصمها، والشائم من دون برقع مبسمها، والعائم دأماءها، والناعث غرفها وأسماءها، والراشف رضاب طلها، من كظام جلها، والناشق عبهرها وجادبها، والنجم الشارق في أفقها، والحامل أوقها، واللابس طوقها، والسالك شعابها، والطالع هضابها، والرافع قبابها، والعامر أطلالها، والخائض عبابها، إن وشى بردة غزل، أراك غنج المقل، ورقة النسيم، وعذبة تسنيم.

ولكنه في الذوق أحلى من الشهد	بلفظ كقامات العذارى رشاقة
ونثر كالألاء السقيط على الزند	ونظم كنظم الدر في عقد غادة
حكمت زرداً من نسج داود والسند	وكم من دلاص أحكمت بذكائه
أسال مذاب الكحل في وجنة الخد	إذا ما جرى دمع اليراع بطرسه

يكاد إذا ما بان سحر بيانه
رسائله غر الرياض وما لها
يحبرها منه بنان روية
فلا عجب أن يطمح الطرف للحمى
فكم لها نجد بطي قريضه
فيا لبرود من قوافيه طرزت
إذا ما حدا الحادي بهن أيانقا
إذا غرد الحادي وسالت رقابها

يؤلف بين الأبرق الضرد والهندي
شقائق تحكيها بزهر ولا ورد
إذا ارتجلت شعراً ذكرت به الكندي
ويصبو قلب الصب منا إلى نجد
شجون هوى تدعو القلوب إلى الوجد
بذكر غوان من هذيم ومن سعد
سبقن وميض البرق في خلل الرعد
حكيت انصالات العضب من مغمد الغمد

وإن وصف الأيانق، أتى بكل معنى فائق، أو السلاف، قمر أبا نواس
بحسن الائتلاف، أو محاسن الخيل، أحجم عنه الطفيل، وامتداد الليل، آخر
الكندي إلى الذيل، فلکم له من نظم، كالقند في الفم، لا بل اللآلي، أو بدور
الليالي، ونثر ذي فقر، كسقيط الزهر، وتقارير علمية، وتحارير شافعية، وفتاوى
فقهية، كالفتاوى النووية، وتأويل، هي أسرار التنزيل، وكم بحث معضل، فتح
منه المقفل، ونوادير غير نوافر، وبدائع هي جوامع، ومدارس معمورة بالدارس،
والدروس، أحييت من العلم الدروس، موضوعة عقد تقريرها، بفرائد الفوائد،
مطرزة ببرود تحريرها، بأعلام الشواهد، ومجالس قطره بمآثر آبائه، منورة
بأزهار أنبائه، مشرقة الأرجاء بقذور لا يعترها النقص، مشرقة الصدور
بالصدور، هي لخاتم المجد الفص، ولحكم المعالي كالنص، ومعاهد يبلغ المنى
فيها، غير منافيه.

معاهد لم تعهد سوى العلم والتقى
وتبليغ آمال وإكرام عالم
وتبريز أعمال وتنوير حالك
وتقرير أبحاث وتحرير مشكل
وتنميق إجلال ورفع مفضل
ووصل أخي تقوى وقطع مضلل

معاهد هي للآمال كعبة، وللسؤال روضة رحبة، ولأناسي الفضل مقل،
ولأوانس العلم كلل.

سقاهن من أفكاره بغمائم
فَلِلَّهِ مَا تَطْوَى عَلَيْهِ بِرُودِهَا
وللَّهِ مِنْهَا مَرِيعٌ كَمْ تَنْفَسْتِ
كأن علاه في سوائف نحره
ففتح منها مذ سقاها الكمائم
وللَّهِ مَا تَفْتَرُ عَنْهُ الْمِبَاسِمِ
عليه رياح للهدى ونسائم
قلائد فضل علقت وتمائم

إن كان لمرتاد العلوم مراتع، ولأذواد الفهوم مراتع، فهن للمعارف مطالع،
وللعوارف منابع، راحات العفاة مجاريها، وإن فقد في مصرها مجاريها، فلا
جرم إن أمست المخدرات لبراعته خدورا، والأهلة لبلاغته مظاهرا وشهورا،
ولأذيال السيادة أرج، ولإقدام الإفادة نهج.

عمّرتها أبأوه الصيد بالعلم
فهي مغنى الندى ومعنى المعالي
إن تكن كالسما في رفعة الشأ
قد سموا في أفلاكها وتردوا
وغذوها بكل بحث دقيق
فتسامت على النجوم منارا
كل ماض يحكي الحسام مضاء
علماء في قومهم شرفاء
أنجبتهم من الظهور جدود
وشادتها بالمكرمات الغزار
ومشيع الهدى ومجنى الفخار
ن فَبَانُوهَا هم شمس النهار
برداء حاكته أيدي الوقار
أسهروا فيه أعين الأفكار
ألبستها أنامل الأقمار
وطباعاً تحكي سلاف العقار
كرماء في كل محل قوار
كلهم للعلل ولللمجد جاري

إن نظرت إلى آيائه فزهّاد، وعلماء كرماء شاؤون كل جواد.

علماء في المعضلات بحور
أتعبوا للعلل نفوسا ألبيا
فهم كالسيوف في كل خطب
وإذا ما البحوث أشكلن يوماً
أبرزوها من بين سجف المعاني
كم أشادوا من بيت علم رفيع
ورروا للحديث كل صحيح
وكرام شاؤون در المهاد
ت فحازوا منها رفيع العماد
غير أن لم تقر في الأغمداد
وتعاصين عن حصول انقياد
مثل زهر يبدو من الأوراد
قومتها دعائم الإسناد
واصلين الأحضاد بالأجداد

قرررو العلوم، وحررو المنثور والمنظوم، وزينوا بأساور المؤلفات معاصمها،
 وبينوا بالشواهد معالمها، وحسنوا بالفوائد مقالدها، ونظموا بفوائد الشوارد
 قلائدها، وحلوا بأنامل الإيضاح معاقدها، وروضوا بصيب الإفصاح معاهدها،
 وأسجدوا اليراع في مساجد رقاعها، وأرتعوا الأذهان في مشارب أسجاعها،
 وكشفوا عن المخدرات القناع، وأماطوا عن وجوه اللفاع، وسهلوا مناهجها،
 وقربوا معارجها، وعرفوا منكرها، وعرفوا مظهرها ومضمورها، وبحثوا فيها
 فحقتوا، ونقبوا عن أسرارها وفتقوا، وجمعوا من أشتاتها المتفرق، ورقعوا من
 مطارفها المتخرق، وأنجدوا في أوديتها وأتهموا، وأعرقوا في دويتها وأشأموا،
 ونقطوا مهملها وأعجموا، وأبدروا في سمائها بعد أن أنجموا، وخاضوا مومات
 سباسبها، وتقحموا غمرات كتائبها، وتسمنوا معالي غواربها، فتقدموا وجملوا
 سوقها بالمسلسلات، ونحورها بالمرسلات، ووجوها بالمحسنات، ورفعوا منارها
 بالمرفوعات، وشنفوا أذانها بالمسموعات.

كلهم في الندى سحاب وفي الع	لم عباب وفي الطباع النسيم
لا ترى فيهم لئيم طباع	كل شخص تلقاه منهم كريم
كل سام يحن نحو المعالي	مثل ما حن للحميم الحميم
زانهم في الورى فخار تليد	مثل ما زانت السماء النجوم
غيرهم ماجد بطارف مجد	وهم مجدهم تليد قديم
نتجت منهم فتاة العطايا	وهي من قبلهم عجوز عقيم
آل عبداللطيف طبتم فطاب الذ	ثر لي فيكم وطاب التنظيم
كيف أسلوكم وبعدكم الديق	من الحنيضي مستضام يقيم
يالقلب من أجلكم لدغته	حياة الحزن فهو منها سليم
ساعدتني على البكاء عليكم	مرسلات من فضلكم وعلوم
كل أرض من علمكم في رباها	مريع زاهر وروض شميم
ولكم منكم مآثر عز	شادها منكم أغروسيم
المعي له سما شرف جز	ل وخلق زاك ووجه قسيم

ألا وهو ذو المجد الموطد، والفخار الرفيع المصمد، مولانا الهمام
(محمد)، قدم الزيارة، بعدما هجر جاره، قاصد الحج لا التجارة، وهي ذات
نضارة، ووجوه ناضرة، وعيون بأناسي الكرم ناظرة، ورياض بأزاهر الفواضل
زاهرة، وحياض مادة لا جازرة، ممدودة من أحمد بجداول، ليس لها إلا الكف
العفاة سواحل.

إنما حجت العفاة إليها وأتوها من كل فج وأوب
ابتغاء للفضل من راحتيه لا ابتغاء لحظ ذنب وحبوب

واجتمع بفضلائها، وتأدب به عامة أدبائها، وانهلكت في يديه سحابة
سمائها، وجادت عليه بنضار أنواعها، ومدت عليه بالبذل يد دأمائها، حتى
صار لأدباء تلك النوادي، بمنزلة العبهر والجادي، ولمجالس قطر، كالشمس
أو القمر، ولأحداق هاتيك الأوطان، بمنزلة الإنسان، ولصدور تلك المحافل،
بمنزلة النهدي في بياض الكلال، ولهاتيك الرحاب، بمنزلة السخاب، ولرقاب
هاتيك الآداب، بمنزلة السخاب، ثم ارتحل عنها، بعدما قضى الوطر منها،
مصحوبا بكرم ابن رزقها، متلفتا بليته إلى لامع برقها، متمنيا العود إليها، حانا
حنين الورق عليها.

إذا لاح إيماض تلفت نحوها تلفت ولهان إلى بارق الشنب
وما ذاك إلا أن فيها سميدعا به قام سوق الشعر وارتفع الأدب
فكم عادة جاءته ترفل بالثنا فطوقها من سح أيديه بالذهب
تسمى ابن رزق وهو لاشك كائن أباه إذا ما الجذب أهلك كل أب
فلا غرو أن يرنو إلى برق داره وسيم المحيا أبيض العرض والشنب
أغر من الفتیان بدرأ إذا بدا وبحراً إذا أقرى وغيثا إذا وهب
مع الفقرا الغرالذين هم هم إذا قلب الدهر المجنة وانقلب

كيف لا يديم الأنين، ويواصل الزفرات بالحنين، إلى مسرح ذود الكرم،
ومطمح أنظار الهمم، ومعقد عقد الشيم، ومسور سوار الافتخار، ودائرة شمس
الاشتهار، وفلك زحل هذه الأعصار، وكيف لا يتوق إلى رباها، والتتشق من ريا
هواها، وهي مقلدة إنسان أعيانها، وسلك يتيمة جمانها، ومدار شرف كيوانها،
مولانا المومى إليه، والمقصود ثناء هذه الرسالة عليه.

ملك متى ما رمت نشر مديحه نشرته قبل لساني الأرواح
قال الأعادي فيه تبدو خفة لم يكذبوا يرتاح إذ يرتاح
لم يبلغ الربوات سيب يمينه إلا ومن يسراه فاض بطاح
فيمينه القاموس في إعطائها وجبينه يوم الندى المصباح

فما زال يتقحم الأمواج، ويعوم في الفلك كل عجاج، حتى وصل في أبرك
آن، إلى قُطرِ عمان، فلقى من سلطانه، وكرماء سكانه، إكراما وإن كان تام، فهو
ناقص بالنسبة إلى ما له من المقام، فتذكر به إكرام أحمد، فارتجل في ذلك
وأنشد.

وقائلة أصبحت في الناس مثريا متى جئت قطراً أمطرتك غمائمه
فما لك لا تثني على كل نائل بغر العطايا ساعفتك مراحمه
أقول لها إن الجدا يبعث الجدا دعيني فما أعطوه أيضا مكارمه
وها أنا ذا أثني عليه لأنني أرى كل جود جادني فهو ساجمه
وإني وإن شطت بي الدار لم أزل أسائره في خاطري وأنادمه
سقى المزن هاتيك الرياض وإن تكن سقتهن بالدر الثمين عياله

فلما أقلع عن الإنشاد، وعرف الحاضرون المراد، شكر ما ورد منهم
وصدر، وأزمع على اغتراب غارب السفر، إلى البيت الحرام، فزيارة النبي
عليه الصلاة والسلام، فاجتاز في مجازه اليمن، وسرح طرف الطرف في رياضه
وعطن، وروى عن أفاضله، وأروى بفواضله عطاشه، وأدر عليهم وابله ورشاشه،

فهو إن نشر مناظمه، فكم نثر فيهم دراهمه، وإن رشح رسائل، فكم وشح من سائل، ثم انقلب عنهم إلى الحج والاعتماد، فالزيارة طيبة السامية المنار، والتبرك بهاتيك الآثار، فلما دخل ذينك البلدين، وقرت بمشاهدتهما العين، ونشر ذكره فيهما بكل اثين، انصرف إلى بلده، وأقام قريبا من سبعة أعوام، ثم رجع لزمم العود ثانيا، ولزيارتها ثانيا، فاجتمع في مجاز هذا المقصد الأحمدم، (بالهمام القمقام أحمد بن محمد)، فأجزل عطاءه، لما أجزل ثناءه، وأحله في بحبوحة داره، مستمتعا بنضاره وسماره، في رواحه وإيكاره، ثم بعد هذه المرافقة فارقه، وأجفانه عليه دافقة، ومهجته إلى لقاءه وامقة، وألحظه لبارق دياره رامقة، وبعدهما فرغ من حجته، تاق إلى وطنه وبلدته، فرجع إلى الأوطان، إذ حبها كما جاء من الإيمان، فلم تمتعه الأقدار بنظرها، وملاقة بشرها، فانتجع من عمان منتجعا، إلى أن رحل إلى الآخرة وودعا، وندبته العلوم، وبكى عليه المنثور والمنظوم.

ألا طرق الناعي فروع مذ نعي
نعاه فأبكى للهدى كل مقلة
فيا مقلة العلياء إن تدر في دما
ويا برد صبري إن تمزقت بالأسى
ويا قلبي المضنى فقدتك دائبا
ويا حزني إن كنت لست بغارب
ويا سلوتي لا ترجعي بعد فرقة
ويا أرقى لا زلت في الجفن خالدا
ويا حرقى لا تسكني غير مهجة
ويا مهجتي ذوبي ويا دمعتي اسكبي
ويا جسدي فانحل ويا أنسى استحل
ويا فرقى استحكم ويا قلقي فزد
ويا زمني أظلم فقد كسفت ذكا
فلا أفق إلا قد كساه ملاءة

أغر من الفتیان أورع أروعا
وأفجع للعلیاء قلبا وروعا
علیه فعرنین الندی عاد أجدعا
فقد شق للإسلام برداً ومدرعا
إذا أنت لم تحضر له فيه مضجعا
فهذا فؤادي فاتخذ فيه مطالعا
ويا جلدي لا زدت إلا تمزعا
فإن مت فاجعل ماء وجهك أدمعا
فإن هي لم تحسن فدونك أضلعا
ويا فرحي فاذهب ويا ترحي ارجعا
ويا نكدي أقبل ويا لائمي دعا
ويا شقوتي دومي ويا ناصرني اخضعا
سمائك حتى عاد لونك أسفعا
أساه فأمسى بالأسى متقنعا

ويا قبر إن وارييت وارييت راسخا
وواريت مفضالاً إذا حضر الندى
وأبيض نهاضاً إلى كل غاية
ويارته فيه الشعريان كلاهما
فكمل فيه الفضل بالمهد مرضعاً
تبدى وروض العلم ذاو وذابل
فمن وردة تنشق عن زهر حكمة
ومن مبحث حال بغر فرائد
ومن مشرع حلو ومن مربع ذك
ومن منهج للشافعية لم يزل
فلو أدرك السبكي تهذيب سبله
ولو أن ذا الإتقان أدرك عصره
فيحيا به يحيى متى قام للذكا
رمى لأخي العنوان إدراك شأنه
وما الفخر والمحصل في جنب علمه
يرى مالك الإسناد لكنه ابنه
فلا غرو أن تبكي المعارف فقدمه
وتبكي المعالي والعوالي فتنتني
لكم معلم لما قضى عاد مجهلاً
وكم من سلو واصطبار تقضقضا
وكم معلم للعلم صير مأتما
وكم وجنة لا تعرف اللطم أطمتم
فشمس المعالي كورت بعد موته
فيا موت إن أفجعتنا بمحمد
وقد كان خير العالمين وخير من
فلسنت إذا أفجعتنا بسميه

من الحلم أو بحراً من العلم يلعما
وألسن قوآلاً إذا قال مصقعا
جرى البدر في مضمارها فتكعكعا
ففاتهما سبقا وإن جريا معا
وأودع فيه الحلم والعلم أيفعا
فلما سقاه عاد بالسقي مربعا
ومن زهرة تزهو ودوح تفرعا
بهن يرى تاج العلوم مرصعا
ومن مجمع قد صار للفصل مجمعا
لأوجه أقمار الدقائق مطالعا
لخال به جمع الجوامع مدعى
لأنهى له الاثنان والحفظ أجمعا
يقرر للمنهاج في الدر مشبعا
ولو كان في العنوان والروض مبدعا
متى قام للبرهان يوضح مهيعا
إذا ما سعى في النحو بحثا وأوسعا
فتوقظ بالتأبين قلباً ومسمعا
أسنتها تذري على الخد أدمعا
وكم أطم مذ فاض قضى وزعزعا
وكم من سمو وافتخار تضعضا
وكم منبع للفضل قد عاد مضرعا
وكم من قفاً قد صار للرزء مصفعا
وسجر بحر العلم مذ قيل شيعا
فها أنت ذا لم تبق إلا مضجعا
على قدم الإنصاف والفضل قد سعى
بمعتبنا فيه فيحيا ويرجعا

ولكننا نرضى بما رضى القضا ولو كان يغني جازعا شق جيبه
ونلبس للتعزاء والصبر مدرعا سقى قبره مزن من الرحم هامع
لصيرت قلبي في أساه مقطعا

ولما هيل عليه ترابه، وانصرف عنه أصحابه، ورثاه أصدقاؤه وأحابه،
ورمدت به مقلة العلوم، وخرت من سماء الفضل النجوم، ورثيته وأنا باكي
العين، مؤرخا له بشطر بيت من بيتين.

لعمري قد ضم الثرى منه كوكباً إذا ما بدا أخفى سنه الكواكبا
فقلت ودمعي كالسحاب مؤرخا يقود له فضل من الله واهبا

وحين بلغ أحمد، نعي الهمام محمد، سحت عليه مآقيه، ورثى له من
فرط أساته معاديه، وود لو قبل الفداء أن يفديه، فلولا شدة صبره وتأسيه،
لقضى من شدة الجزع، ولكنه تأسى فرجع، وسلم للقضا، مائلا إلى الرضى،
وأرسل المراثي العربية، مشفقا عليه بالعطايا السنية، إلى وراثه ومواليه، شكرا
لمعاليه وأياديه، فله راث بالنوال قبل المقال، ولله بحر لا يمتطى ثبجه، ولا تعام
لججه، ولله بدر سماء هي شرفه، ومن إياه صدفه، ولله من كريم بسام، كالنور
باكره الغمام، والنور إن جاب عنه الظلام.

ولله من يرعى المودة والإخا لمن غاب في بطن الثرى عادم الثرى
فهو الحقيق بأن يحمد، ولو لم يزل أحمد.

سلا صاحبي السمر عنه فإنها وإن تسألا مسع الرياح فإنها
تخبرنا أن ليس تلقى كتائبه ومن خيله سمع الرياح لدى الوغى
مذاكيه في يوم الوغى وسلاهبه وكم قائل إن الرعان خميسه
جدير لعمري أن يندل محاربه وكم قائل إن النجوم عزومه
وما خال أن المرسلات مواهبه هو المرء إنساناً له الفضل مقلة
ولم يدر أن الشهب منها قواضبه وقلبا وجثمان المكارم قابله

وإن فتى لا يطرق الضيم جاره لأبعد شيء إن يهان مصاحبه
وأن يرحل الضيف الغريب بذمة وأن تخلف الوفاد بذلا سحائبه
وأكرم من يطرى ويعذب مدحه ويهتز للمعروف والخير جانبه

ترجمة الحاج عثمان بن داود البصري

ومن خواص أصحابه، المعاصريه إبان شبابه، (عثمان بن سليمان بن داود)، البصري دارا، القرشي التميمي نسبة ونجاراً، نشأ في البصرة مسقط رأسه، ومطلع نير شمس، ومربع وردة أنسه، فقرأ فيها جملة من الأدب، ونظم الشعر كما هي سجية العرب، وكتب ففاخر به من كتب، وبرع في فني النظم والنثر، براعة سلمها له أهل العصر، وعلم بها فضلا كما علم بالهلال الشهر، وأبرز بها نبله، حتى لم نر في صقعه مثله، مع الاشتغال بالتجارة، ومعاناة الربح والخسارة، ومشاغبة الأفكار، ونبو الديار، بعد انفتال الحصار، ومقاسات الاغتراب، عن الأوطان والأصحاب، فإن الأقدار نقلته إلى الديار الهندية، بعدما استولى على بلده الزندية، وأقام في هاتيك الأوطان، لا ينطبق له جفنان، ولا يرى من ذوي إنسه إنسان، إلى أن أخلف الزمان، عن طبعه المعتاد، فأرجعه إلى البلاد، فطاب له أنسه، وسكنت عن الاضطراب نفسه، حين رجعت إلى فلكها شمس، وسد برؤيته فضله، وأينع في مغرسه فضله، وذلك بعد ملاقة الرجال، وإدراك ذروة الكمال، وصقل مرآة أفكاره، واكتحال مقل اختباره، واعتدال زمن اعتداله، وسطوح شمس إقباله، وتضوع نفحات أدبه، واخضلال أفنان نشبه، وهبوب أرواح جده، واشتعال مصباح مجده، وانتظام سلك سعده، وإزهار روض إعظامه، وإسفار فجر احترامه، وانفلاق محار صدره، عن لآلي فكره، وانشقاق ورد لسانه، عن زهر بيانه، وانطلاق بنانه، بدرر إحسانه، وابتسام تبيانه، عن وجوه افتتانه.

برز في البصرة كما تقدم، فصدره فضله على أقرانه وقدم، وقد كفله أبوه ثم جده، إلى أن ساعد إقباله وجده، وبرزه على الاقتران مجده.

لك الله من مولى ترقى إلى العلا
وقبّلت العلياء ظاهر كفه
هو الفضل فخراً زانه منه سوّد
فما امتد منه الطرف في عيب جاره
وما ودّعت بالذم أضياف داره
وما قصرت أسيافه عن عدوّه
تحبب بالإعطاء والنصح للورى
فساعده إقباله وعزائمه
وليداً وما حلت لذكاء تئامه
وزهراً سقته من يديه مكارمه
وما حبست عن سائليه داره
ولا عابه عند الخصام مخاصمه
فإن قصرت زيدت بهن معاصمه
فها كلهم إلا الكفور مسالمه

فصار يشب بالكمال، شباب الهلال، وينصب لصالح الأعمال، نصب
الكهول من الرجال، يفاخر الأتراب، بزيادة الآداب، ونظافة الأثواب، ويجالس
العقلاء، ويؤانس الفضلاء، ويثابر على المآثر، ويزاحم في سمو المفاخر، وتسمو
به نفسه، إلى ما يتقاصر عنه جنسه، وتطالبه عزائمه، فتعاضده صوارمه،
ويتقاضاه شرفه، مآثر يضيق عنها برد الزمان ومطرفه، إن أرضعته المروة،
فقد حضنته الحظوة والفتوة، حتى صار في الكرم القدوة، واصطهى للفضل
الصهوة، وشرب من سلافة الصفة، وجرى في مضمار السيادة، فشأى في
السبق السادة، كأنما خلق من عفافه، وصار روحاً للإنصافه.

لا عيب فيه سوى عفاف ظاهر
وكريم أخلاق ولطف سجية
وبياض أثواب وباهر سوّد
تاقت إلى بذل المكارم كفه
وجميل إنصاف ومدّ يمين
وعظيم مجد وابتسام جبين
وتليد فخر وانقطاع قرين
توقان عطشان لرشف معين

قد عاشر أحمد في شبابه، فصدره في أصحابه، إذ كان يخصه بالمشاورة،
ويصطفيه للمحاورة، ويسامرهم أطف مسامرة، ويحضره مجامعه ومحاضره،
فيجده في المحاورة ذا محاضرة، ويشير بلطيف إشارة، وخفي عبارة، فيفهم
ذلك أسرع من طرفة عين، لا أقول كأنطباق شفقتين، أو أقول أين، طالما يتجاذبان
أفنان البيان، فلا يفهم ما أراده إنسان، ولقد ذكر بعض من لازم أحمد، أنه

حضرهما في مقعد، حافل بوجوه الصيد، رافل ببرود الغيد، فأراد أحمد أمرا لا ينبغي إعلانه، وكان بعيداً منه مكانه، ففاه به على طريق الألفاظ، ففهم ما أراد في ذلك الإعجاز، قبل انتهائه إلى الأعجاز، وأجابه على الحقيقة لا المجاز، بجواب عرف به مقداره، وأعظم به أبقاره، تولى له الأموال، مدة أحوال، وكان له مساعداً، ولأمره زندياً وساعداً، وربما استشاره، وهو في الزبارة، فيرسل إليه بجواب، يكشف عن مخدراتها النقاب، وبالجملة فذكاه، لا يوجد في سواه.

لله در ذكي حاذق يقظ يكاد يفهم قبل النطق ما هجسا

له النثر الرايق الحسن، والشعر الذي لا يدرك شأوه الحسن، تعرف لي ببذله، وقابل جهلي بعقله، قطعتة فوصل، وملت عنه فعدل، وأغضبتة فما أغضب، وبعدت عنه فقرب، وعاشرتة فما أذ وأطيب، وسامرتة فما أطف وأنسب، إن نطق فضل، عن كل من فضل، وإن داعب ظننت النسيم، عبث في الروض الشميم، وأما النسب، فشدور الذهب، وأما الحسب فمصاص لباب، وأما الآداب، فحدث عن العباب، ولا حرج ولا عتاب، وأما الرسائل، فاللآلي من المراسل، وأما إنشاؤه فبديع، وأما أنداؤه فربيع، وأما مجلسه فمطلع شمسه محياه، وشمسه مربع ورياضه سجاياه، وأما فناؤه فمشرع ترده العفاة، وأما وقاره فلم تسمع به فيمن عداه.

صاحبته وبلوته فوجدته أبداً إذا طاش الجليس موقراً
وإذا رأى ضيفا ألمّ ترنحت أعطافه طرباً وأنعم بالقري

نزل الزبارة وما نزل، بل ارتفع بالفضل وكمل، وزار الحرمين، فقرت له فيهما العين، وصحب في سفره إليهما، (محمد بن عبداللطيف)، وأجلاء من العلماء، فحصلت له مع ابن عبداللطيف إجازات، هي للبلاغة والفصاحة مجازات، فحسنت بينهما المطابقة، في تلك المرافقة، وشكر كل منهما الآخر، ونوه بأدبه وفاخر، كيف لا وبلاغتهما تعجز الكندي، وتتطق بالعربية الكردي.

كم فتحا للنظم من مرتج وأوسعا للنثر من منهج
وفوفا للفضل من مطرف ولولاهما حاكاه لم ينسج

وبالجملـة ففرائد أفكاره، وخرائد أنظاره، هي حور مقصورات حسان،
لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، ومحاسن آثاره، ونوادر أخباره، متبسمات عن
ثغور الإحسان، منظورات بكل إنسان، منثورات بكل لسان، يضيق نطاق الأزمنة،
عن بعض ما أبداه، وتكل الألسنة، عن عد أيسر مزاياه، ومن محاسنه المآثورات،
ومناقبه المشهورات، إخراج زكاته، وإسعاف المحتاج بصلاته، ومواظبته على
عزائم صلاته، ومراعاته من جاوره، وملاطفة من حاوره، ومصافاة الأفاضل،
ومعاداة الأراذل.

أحب مزاياه لأنـي رأيتها محببة طراً إلى كل فاضل
واني أسامي من رأيت بفخره فتشهد لي في ذاك بيض المحافل
فلا عيب فيه غير مطرف سؤدد على هامة الجوزاء والنثر ذائل
وعزم إذا أمضاه في حل معضل أراك به بيض الظبا والمناصل
وأبيض عرض لم يدنس ومحتد هو البدر إلا أنه غير نازل

وإنه بالحق قائم، غير مصغ للآثم، أبقاه الله في قيد الحياة، فائقا
للنظائر والأشباه، ولد غرة الأماجد الميامين، بعد الألف والمائة قريباً من
السبعين.

ترجمة الشيخ ناصر بن سليمان بن سحيم

وممن عرف بصحبته، بعد تعرفه إليه بصلته، (ناصر بن سليمان بن
سحيم)، الثابت الإيمان، الباهر الفضل والإحسان، هو روض زهره الفرائد،
وحوض علم لا ينزف لكثير الوارد، لا بل بحر لا ينعت بالجزر، ولا يمد
باليسير النزر، تدرع بالصيانة، وتطلع ثنـايا الرفعة والمكانة، وتأزر بالعفاف

والديانة، وتعطر بالإنصاف والأمانة، إن صار في الحسب ربحانة، فهو لعقد الأدب اليتيمة، ولورد النسب الروضة الشميمة، ومن مصاص الشرف، بمنزلة الدر من الصدف، ألقى إليه العلم باللب، وملكه ناصية الأدب، وجال في مضمار الإيجاز، فسلمت له البراعة زمام الإعجاز. وبرزت من خدور البيان، له مخدرات لم تبرز قبله لإنسان، بحث في مشكلاته فأبانها، وأعرب مبهمات فزانها، وأماط اللثام عن وجوه أبقاره، وفتقت الكمام عن أزهار أسراره، ونظم ببنان ابتكاره، لآلي تقصاره، ووشى حبر بيانه، ببنان أذهانه.

حبر إذا وشى برود ألوكة	أمست على كل المالك فاخره
وإذا أبان وجوه بحث غامض	نظرت بألحاظ البصائر سافره
وإذا جرى ذكر الحديث وأهله	فهو الذي بالحفظ قيّد نافره
وإذا الأصول تبرقعت أبحاثه	فسر البراقع عن وجوه وافره
فكأنما جمع الجوامع قلبه	إن قام بالتحريير يطلب نادره

تمكن من العلوم العقلية والنقلية، وعُنِيَ بجمع الشوارد الأدبية، وآلت إليه الرياسة الحنبلية، وعرضت عليه المشكلات الحديثية، فأزهرت به للحديث رياض، وطار صيته في الأمصار واستفاض، وانثال للرواية عند الطلاب، فأتوه من كل أوب وباب، وظهرت بركته في القاصي والداني، وبهرت مروءته حتى قيل ليس له فيها مداني، وابيضت ليااليه، ببدور مساعيه، وأثنى عليه ليله ونهاره، وتشرف بمباشرته رداؤه وإزاره، وشهد له بعلو الرتبة فخاره، وتوقر فيه سكينته ووقاره، وحمدت في المحافل مزاياه وأثاره، وأقرت بزهد معاصروه، وبمجده أضداده ومعادوه، صحبته في الصغر، وذاكرته فألفيته نسيم السحر، قبل خد الزهر، فعادت علي بركته، وشملتني دعوته، أخذ العلم عن الجامع بين المعقول والمنقول، والآتي في فن الأصول، بما فاق على الحاصل والمحصل، والناقد المميز بنقده المردود والمقبول، الكائن من الابتداع كالعلم المركوز، (محمد بن عبدالله بن فيروز)، وعن ابنه عبدالوهاب، وغيرهما كابن سلوم في الحساب،

وشيخنا الكردي في النحو والقرآن، وشيئا من فني الأصول والميزان، وروى البخاري، وشرحه إرشاد الساري، إجازة وسماعا لغالبهما، وقراءة لبعضهما، عن شيخه قدوة المحدثين، وحافظ عصره في الأحسائيين، ومنتهى إرادة الطالبين، المشار إليه أولا، المعول عليه فيما أسند وأرسلا، وأخذ عنه المعاني والبيان، والبديع والنحو حتى برز على الأقران، والعروض والقوافي والأصلين، ففرت له بذلك العين، وغير ذلك مما يخرج ذكره إلى الإسهاب، ويخرج بسطه إلى أفراد كتاب.

وبالجملة فهو الصدر في أصحابه، والنحر لقلادة الفضل وسخابه، والسماء لكواكب آدابه، إن اختصر فإليه المنتهى والغاية، وإن أطنب فهو في الإطناب الآية، لم يزل مثابرا على الأخلاق الزاهرة، المبعدة عن الدنيا المقربة إلى الآخرة، يقوم الليل بأجفان باكية، ويصوم النهار بأحشاء طاوية.

لم يغف في الليل غفوه	لله در إمام
مقاله قطه فوه	وإن يقل لم تجد في
كأنه الزهر غدوه	له محيا بهيج
لهذه السدار شهوه	ومهجة ليس فيها

انتقل من نجد يافع السن، منفردا عن الترب والخذن، فوصل إلى هجر، وحارب كراه وهجر، ليالي الطلب، حتى بلغ الأرب، ونور روض إقباله، وأسفر صباح آماله، وفتح له ورد مجده، وترنح غصن سعده، بمشاهدة تلك الجناب الكريم، واهتدائه بصراطه المستقيم، وتطلعه في صفحات وجهه القسيم، وموالاته إياه، مولاة الأب الرحيم، ومصافاة رضاه، مصافاة الماء النسيم، وتنوير عين تبصرته، وتحليه عاطل فكرته، واتحاف تهذيبه، وإسعافه بتأديبه.

ولما تنقلت بهم الحال، فانقلب الدهر بهما ومال، بإخراجهما عن الأوطان، وإيحاشهما من الخلان، قصداً لزيارة أحمد، فزاد إكramهما وجدد، وأبدلتهما من الدور الغرف، ورفعهما بعد الانخفاض إلى الشرف، ووصلهما بصلات عوائدهما لم تضر، وأمدهما بتجميلات قائدتها النضار والجوهر، فما زال على هذا الإكram، حتى نقلتهما الأيام، إلى البصرة قبة الإسلام، فتبوءا من مقاعدها الصدر، وأسفر بهما وجه مصر والعصر، وارتفع لهما في أهلها الجاه والقدر، وتولى شيخه المدرسة السليمانية، وأقام الوظائف العلمية، وهو يقرر البخاري عليه، ويثابر على إلقاء الدروس بين يديه، نازلاً من إكramه منزلة الإنسان من المقلة، أو منزلة الرابط من الجملة، إلى أن انتقل شيخه بالرحمة، بعدما أفاض عليه حفظه وعلمه، فتصدر بعده فيها، ناهجاً منهجه في الإكram لساكنيها، قائماً بوظائفها، كما هو شرط واقفها، وقد حضرت درسه مراراً، فوجدته بحراً زخاراً، يعتقد معتقد السلف، ولا يتعرض للسادة الخلف، لم يزل جليس داره، ملازماً لسكينة ووقاره، محافظاً على إكram جاره، مباركاً في إيراده وإصداره، طويل الصمت، جميل السميت، فهو الدرّة التي ببقائهما يدعى، ولزيارتها على الرأس يسعى.

ترجمة الشيخ عبدالله بن عثمان بن جامع

ومن محبيه في إعلانه وإسراره، ومجاذبيه أزمة أسماره، وملازميه في ليله ونهاره، الأديب الأريب، واللوزعي النجيب، (عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن جامع)، البليغ في المحاضر والمجامع، المهيب بالأبصار والمسامع، قد برع في المعرفة وهو غلام، ورام المعالي فأدركها قبل الفطام، وتأزر بالعفاف حال البروز من الأرحام، وارتدى بالإنصاف حتى دعي فيه الإمام، وتدثر بالسكينة والوقار، قبل اخضرار العذار، ولازم التقوى كما لازم الشمس النهار، فأيرض روض أثماره، وبيض وجه افتخاره، وشمخ عرنين مقداره، واشتهر في الأنام، اشتهار

البدر في الظلام، وبرزت في فلك الإقبال شمسها، وتفاخر فيها يومه وأمسها، ودعي أعجوبة أوانه، وريحانة مصره وأعيانه، وانفرد بلطائف الآداب، عن أفاضل الأتراب، واتصف باتصاف الكمال، وأسعف بالنوال، إسعاف العارض الهطال.

لم أجد فاضلا من الناس إلا وهو يثني بملء فيه عليه
أتلام العلاء إذا لازمته مثلما لازم السخاء يديه

قد أخذ النحو عن شيخنا الكردي، وقال فيه: هو أجل من قرأ عندي، وروى زنده من زندي، وعن ابن فيروز ونجله، علمي الفقه وأصله، وعن ابن خنين، وغيرهم من علماء البحرين، ولا غرو أن شأى في البراعة، من مد إلى تناوشها ذراعها، بنظم هو سائل الأمثال، ونثر هو فرائد اللال.

فقرات كأنهن لآلي وقواف كأنهن سموط
نظرات كأنها زهرات باسمات يزينهن السقيط

هز للمعالي معاطفها، ومد للمكارم وارفها، وحلى للمآثر سوافها، وبلغ من النجابة أقصاها، وحوى للبابية وطلع رباها، حتى كأنما هي لفظة هو معناها، ولبتة البلاغة حين ناداها، وتطأطأت له الفصاحة فامتطى مطاها، وبرز للمشكلات فأسفر عن محياها، وشمست العضلات فأزال شماستها، وشرست العويصات فألان شراستها، وتجلي للمكرمات فأعطته زمامها، وجعلته في مجامعها إمامها ومقدامها.

ترجمة الشيخ عثمان بن جامع

وممن أمسك بزمام علمه، والتقط من زهر نثره ونظمه، أبوه الإمام (عثمان بن جامع)، بهجة صدور المجامع، وزهرة رياض الجوامع، وغرة وجوه

الأفاضل، وعمدة المستفتين في النوازل، الأنصاري الخزرجي نجارا، القطري البصري دارا، هو والله نادرة عصره، وناظرة بلده وقطره، ذو دمع ساكب، وقلب خاشع واجب.

إذا قرأ القرآن سالت دموعه ولاح على الخدين منه خشوعه
إذا اسود جنح الليل قام مصليا وقعقع من خوف الإله ضلوعه

إذا توسمت صباحه، واستبنت فلاحه، واستشمت نجاحه، وإذا سمعت قراءته، تيقنت إنابته، وحققت عبادته، وإذا سيرت طريقته، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تدرعه عن الحق الصوارم، أما زهده فزهدي إمامه، وأما شجاعته فشجاعة آبائه وأعمامه، قرأ كابنه على ابن فيروز، وعرف ما يحرم وما يجوز، وروى الأحاديث النبوية، وتصدر في السادة الحنبلية، وشرح أخصر المختصرات في المذهب، شرحا أبان عن فضله وأعرب، وولي القضاء فحسنت سيرته، وحمدت في البادي والحاضر طريقته، ورحل إلى مكة وطيبة، فحمد غب هاتيك الغيبة، بقضاء واجبات المناسك، وحصول المنى في المثول في هاتيك المسالك، وقد قرأ الفقه والآداب، والمواريث والحساب، ففاق مشايخه بلا ارتياب، كيف لا يفوق المعاصر، ويروق به وجه المحاضر، ويحار في ذكائه المناظر، وتتشف الأذان بأخباره، وتتشرف الأجفان بإبصاره، وعبد الله ابنه، والعلم خدنه، رحل الابن الكريم إلى اليمن، فوصل له كل صحيح وحسن، وكملت له الدراية، بعدما حصلت له الرواية، ودخل مكة والمدينة، فكمل له الوقار والسكينة، بمشاهدة تلك المشاهد، ومعاهد هاتيك المعاهد، والشام وحلب، فأدرك ما طلب، إن أطلق فكره الشوارد، فكم قيد من أوابد، مع ما جبل عليه من الحلم، وملاطفة المضاد والخصم، وإسهار الأجفان، في تدبر معاني القرآن، وإتاعاب الفكر، في تحصيل الغرر، ومن الدليل على فخامة قدره، وسمو مجده وعلو فخره، صحبتته لأحمد، وصيرورته منه

كالسمط من المقلد، يفيض عليه الأسرار، في الجهر والسرار، ويساعده مساعدة الساعد، ويصله بأتم صلة وعايد، فها هو وأبوه في قيد الحياة، كما نرجوه ونتمناه، أعدل السير، سالمين من الآفات والغير، محبين عند عامة البشر، معظمين في كل بدو وحضر، جديرين أن يحدق بهما كل بصر، وأن تتشر أخبارهما ببيان لسان السمر.

ترجمة الحاج بكر لؤلؤ البصري

ومن سماره، وحمله أخباره، ومسلسل أذكاره، ومحسن آثاره، ومواليه وأنصاره، ومنشوق أرج افتخاره، (بكر بن أحمد البصري القطري الزباري)، سقى جدته هطال عفو الباري، وهفا عليه روح الجنة الساري، قد قرأ القرآن، وأتقنه أتم الإتقان، ونور به المكان والزمان والأجفان، وأعمل به الجنان واللسان، وأبكى عليه الأجفان، واعتصم بعراه، وانتظم في سلك افتقاره، واستتار بمصباحه، وتشق عبهر أرواحه، وأتقن محكمه، ومؤخره ومقدمه، فأمن بمشكله، ومفصله ومجمله، اتجر بالأموال، فانثالت عليه النعم، وحسنت له الأحوال، فما زلت له عن الشرع قدم، وطلب الرزق من حله، وصرفه في مستحقه وأهله، فعمر المساجد للعبادة، والمقاعد للشرفاء والسادة، وأنال جداول النائل، على المسنت والعائل، وأرسل إلى الحرمين، من غالي العين، ما لم تر عين، وأمل ذات اليمين، بصدقة اليسار واليمين، وتواضع للعالة، واطرح الأبهة والجلالة، مع أنها لا تتبغي إلا له، فهو الغرة التي زان بها وجه الزمان، وتلأ لأغرة ثغر المروة والإحسان، والدوحة التي تفرعت منها أفنان الكرم، والروضة المزهرة بأزهار الشيم، المفتره الكمائم عن أورد العظم، والدره التي لا يقايس مقدرهاها بالقيم.

درة قد سمح الدهر بها عظمت عن أن توارى بالقيم
درة تبسم ثغراً عن ندى ما أتاه سائل إلا سجم
حرم الجود عليه قول لا وقضى حسماً عليه بنعم

قد نشأ في البصرة، مجبولاً على أحسن فطرة، منظورا من القدر بأرأف نظرة، مرتضعا من ثدي الكمال والجلال، مرتفعاً على الأقران والأمثال، سائراً ذكره سير الأمثال، محمودة سيرته، مأنوسة سيرته، بيته ركن تستلمه العلماء، وتقبله بالشفاه العظماء، مثابرا على أخلاق الكرماء، ذا أُلطاف أدبية، ووظائف حاتمية، لا يصحبه إلا أهل العفاف، ولا يتقرب عليه إلا ذوو الإنصاف، ولا ترد مجلسه إلا الأولياء والضعاف، ولا تتشر في ناديه إلا محاسن الأوصاف، ولا يسامر إلا النبلاء الأشراف، ما مضى زمن، إلا وأودعه كل حسن، ولا حلّ مكان، إلا وهل فيه بإحسان، إذا تصدق أخفى، وإذا كال أو وزن وقى، وإذا لبس الظلام براقه، شد للعبادة نطقه، وأعظم للمستحقين إنفاقه، فما زال يعمل بالقرآن لسانه، وبالتهكير في الآلاء جنانه، وبإسداء النعماء بنانه، وبالركوع والسجود أركانه، إلى أن ينطلق الصباح، ويدعى إلى الفلاح، فيهرع إلى الصلاة، والخدم أمامه ووراه، فإذا قضاها انصرف، وكب على القرآن وعكف، إلى أن تأخذه ذكاء في الإشراق، وتفزع الناس إلى اكتساب الأرزاق، فيدعو بالجفان، المترعة من الأطعمة بألوان، فيطعم من دارسه منها، فإذا قضى وقضوا انصرف عنها، فيتصدق على من حضر، في ذلك المحضر، ثم يقوم إلى صلاة الضحى، فإذا قضى وطره منها انتحى، آخذا في أمور دنياه، ليستعين بها على أخراه، فما زال كذلك فيها، حتى انتقل من نواحيها، عام الحصار محاصرة الزُّند لها، وقد كان الساعد والزند لها، وسكن الزبارة، وهي في عنوان العمارة، فسلك فيها العدل، وأوسع فيها البذل، وعظمت له فيها الرتبة، إذ حلت له العطية والقربة، وأعاد فيها نضارة الإسلام، وغضارة المكارم في تلك الأيام، وحسنت له فيها الآثار، وصححت له أخبار الافتخار، وارتفع فيها العرنين، وانقطع له فيها القرين، سوى من أعملت فيه هذه الرسالة، واشتهر في الآفاق اشتها الغزاة.

وإني لا ألقى له الدهر مشبهاً ولو أنه مس السهى بيمينه

نعم، هذا هو الغاية بعده، ولا أدعي إذ ينال مجده، ولكنه يفوق من
عداه، ويحذو حذو نداءه، فبيته مناط عقد الدراسة، ومجر ذيل الرياسة، ومقبل
شفاه الأمراء، ومطمح آمال الفقراء، ومهب أنفاس الكرم، ومنصب ما له من
الديم، يتلاقى فيه الدارس والفارس، والمثري والبائس.

فيا لك من بيت زواياه للعلا مقرر ولقرآن خير مدارس

بنى في الأحساء من البحرين، مدرسة أو مدرستين، ومسجداً في الزبارة
كالبدري في رأي العين، متى ذكر له عالم أرسله إليه، وأفاض موائد بره عليه، وروى
عنه ودري، فإذا قضى منه وطرا، أرجعه حامداً لما جرى، لا تلذ له المسامرة،
إلا بالذاكرة، لاسيما بالفرائض والحساب، فإنه ممن أماط عن مخدراتها
النقاب، ومن الدليل على باهر صفاته، أنه لما لاحت أعلام وفاته، وخاف
انقطاع خيراته، وكانت له جملة ديون، مثقله بها الأعناق والمنون، أطلق رقاب
أهلها، من قيدها وغلها، وأردفها من عين ماله بمثلها، (وبالجملة) فأوصافه
محمودة، وإفضالاته غير محدودة، وأيامه مشهورة مشهودة، وعطاياه مجرورة،
ومزاياه مشكورة، تعيا الأقلام عن حصرها، والأفهام عن اكتناه قدرها، توفى
بعد الألف والمائتين، مردفة بسنتين، سقى قبره ملث الرضوان، وغداة العفو
والغفران.

بكاء فإن المجد قد خر نجمه
قضى فقضت منه المعالي وأصبحت
وعادت قسي الفضل لا وتر لها
وأضحت قناة الدين تبكي سنانها
ووجه الهدى قد صار من عظم الأسى
وأضحى اليتامى والمسيفون بعده
بكوه بأجضان لفقد جفانه
فقد كان مأوى لليتامى ومعقلاً

وصوح روض الفضل والفصل والحلم
خدود العلا سود الجوانب باللدم
ولا فوق إلا وهو يبكي على السهم
فها عينها قرحى وها دمعهما يهيم
ولا مقلة تجلو ولا أنف للشم
خواضع مما مسهم من ضنى اليتيم
المكللة الأطراف بالخبز واللحم
يلوذ به الهلاك في الكرب الدهم

ترجمة الشيخ أحمد بن درويش البصري

وممن عاصره، وما صاحبه وعاشره، سميته (أحمد بن درويش الأنجد)، فإنه وإن لم يكن يلقاه، فقد كان يحب أن يراه، ويهوى مكاتبته ومسامرته.

والمرء ما زال إلى شبهه منجذباً يهواه بالطبع
والمرء يهوى المرء عن رؤية من بعد أن يهواه بالسمع

ولكن الأيام لم تسمح بالبغية، فلم تمن على كل منهما بالرؤية، فهو وإن لم يحظ برؤيته، فقد حظي بموافقته، في صفته وتسميته، نشأ في البصرة بلاده، ومناطق قرط سؤدد أجداده، ومطلع سيادة غزلاته، ومربع أوراد سياسته، ومرمى أنظار علائه، ومهمى أمطار سمائه، ومجر ذيل ثنائه، ومقر لآلي آلائه، وبلدة بدر مجده، ووردة زهر حمده، ومرتع أذواد وفاده، ومنبع عيون جوده وأمداده، ومدار سيال أفضاله، ومنار اعتباره وكماله، ومغرس مسبل كرمه، وموطئ أخمص عظمه، ومعقد عقد شرفه، ومورد لطائفه وظرفه، ومنهل إنصافه، ومهل عفافه، فهي بلدة يطير إليها العايف، بالقوادم والخوايف، وتحكم في مدحها الأعاريض والقوايف، تطمح إليها الأنظار، ويسمح لوصولها الضنين بالنضار، فإنها وإن كانت قبة الدين، ومنجع الأبرار المتقين، ومجر ذيول الكرماء الميامين، ومدارس شمس العلماء العاملين، قد زادت بأحمد نضارتها، وانفلقت عن لآلي المفاخر محارتها، وافترت عن المآثر منها الثغور، وأسفرت فيها للسيادة نجوم وبدور، وزاد برد سعادتها، وطال ذراع سيادتها، وشمخ عرنين ارتفاعها، وبزغ عز امتناعها، وحميت بالأسنة أجام سباعها، وحجبت عن الإهانة رباعها، وطلع في منازل النصر إكليلها وذراعها، وأخصبت بسبيب جدواه بقاعها، وافتخر بإقدامه يفاعها، وزان ببهجته محياها، وضاع بطيبه رياها، واكتحلت بإثمد رئاسته عيناها، وأثنى على لسانه أفعالها، ونظرت عن عظم أعيانها، وأخضلت بسعادته أفنانها، فلا غرو أن تسفر به جبيناً، وتفيض على بدنها من مهابته زرداً وظئينا، وتذيل من مكارمه ذيولاً، وتتشق من أنفاس

مهابتة ولطافته شمالا وقبولا، وتزداد بظرافته إلى الصدور قبولا، إذ هو
المشار إليه في ندوتها، والواجب التصدر في ذروتها، الملقاة إليه مفاتيح إيرادها
وإصدارها، والمنتظمة ببنان آرائه فرائد تقصارها، المنادى حاتمها، وإن كان
لأعدائه هاشمها، وحسام حمايتها، وغرة ناصيتها، ومصباح مشكاتها، ومفتاح
خيراتها، وإنسان مقلتها، وركن قبلتها، وبدر أفقها، وشمس غربها وشرقها،
ومركز دائرتها، ومحيط قارتها ودائرتها، وكبرى مقدماتها، ومعنى كلماتها،
وسالفة تقصارها، وهامة افتخارها، ومعدن أسرارها، ومعدل فقرائها، وموئل
أمرائها، ومرقى ثنائها، ومنتهى آمال أبنائها، ومنهاج عوارفها، وإمداد عواطفها.

قرشى النجار من سح كفيهِ رياض الندى تفتحن نوراً

ألف المكارم قبل الفصال، وقصر المكارم عمن يسابقه نوال، فرياض
الكرم، منورة التبسم، مذ جادها وابل كفه، ورنا إليها بطرف عطفه، إن كان
بالأنعام جلالها، فقد أتم نقصها وكملها، وبدا له معوجها فنقفها، ومنكرة فعرفها،
ومخفضة فرفعها، ومهانة فمنعها.

لـولاه ما نبعث لك رمة بها أبداً عيون

لو لم تكن وجهها لما كانت مزاياه عيون

كيف لا تكون وجهها ومزاياه عيونه، وروضا وأفعاله غصونه، وأوراده
وبيته للوفاد مشرع، وللأشراف والأجواد مجمع، يأتي إليه العائل، فيرجع عنه
بكل نائل، يحيي به كرم جعفر ويحيى، ويفوح به خالد الفضل ريا، ويعيد ابن
مامة ومعنا، فيفوق من مكارمه لفظاً ومعنى، فلا غرو أن تقصد بلاده، وتمطر
مزنه وعماده، فقد اشتهر في الأمصار، اشتهار شمس النهار، مدحه الفضلاء،
وقدحت بزند رأيه العقلاء، وضرب المثل بدمائة أخلاقه، وسعة إمداده وإنفاقه.

ما فيه من عيب سوى أن كان منطلق اليدين

إن كان وجهها للعلا فـخاره للمجد عين

وليس ينطبق بابه، لأنه من الكرم عبا به، وأنه على طول الأيام، مفتوح
للخاص والعام، ربما بلغت فيه الأضياف، في بعض الأيام آلاف.

يا حبيذا ناد توّم رحابهُ الأضيافُ
كيف ادعاء حصرها وأقلها آلاف
فكأنه البيت الشريف توّمهُ الطّووف

أعملت لزيارته يعامل الآمال، فرجعت عنه بالإمداد والأفضال، وأما
نسبه، ونصابه وحسبه، فهو نصب ونساب وحسب، دونها عروق الذهب، ومن
دونها ينزل البدر ولا عجب.

تمنت ذكاء أن تمد بنانها إليه فلم تبلغ لذاك الأمانيا
وكيف تنوش الشمس منصب محتد متى ما ذكرناه ذكرنا المعاليا
من النضر القوم الذين رماحهم أقامت على كسرى الملوك النواعيا
أكفهم تقري بغرفواضل وأسيافهم تفري الألد المعاديا
بنو السيد العباس والأسد العلا عزائمهم تحكي الخفاف المواضيا

من معشر عرفت البطحاء قدرهم، ونشرت الفيحاء في الأنداء ذكرهم،
وفاخرت بفخرهم أبنائهم، وتقاصرت عن مجدهم نظرائهم، وتبسمت عن
مآثرهم علياؤهم.

إن تفخر البطحاء بالأباء فالفخر بالأبناء للفيحاء
لم تزل البصرة ومقاليدها في أيماهم، ومضاحكها تفتت عن الألاء
إحسانهم، شادوها بينان المكارم، وحموها بكل سنان وصارم، وأقاموا فيها
شرف أجدادهم، ببذل طريفهم وتلادهم، قد وقعت لأجدادهم فيها وقائع تحير
أفكار واصفيها، وتشهد بعزهم وذل منافيها.

وقائع سود غير أن سيوفهم لها غررتزهوبها وجمال

ونوازل يندك لها مواسل، والظاهر أنهم العامرو هذه البصرة،
والقائمون لها بالحماية والنصرة، فقد أخرجوا عنها كل حاكم، سام أهلها
الخسف بالصوارم، وجرعوا من اعتدى، كأس ذلة وردى.

يسلون الصوارم مرهفات على من سامها رجفا وخسفا
وكم قطعت سيوفهم لباغ يحاول ذلها زناداً وكفا
إن حلوا سوائف أعدائهم بالبواتر، فكم حلوا أكف أودائهم بالعطاء
الوافر.

أكفهم فيهن شهب لعتد وفيها لمستجد نوالهم سحب
إذا ما مشى نحو المكارم غيرهم رويداً على الأقدام في فعلها خبوا

لا غرو أن المجد سماء هم أقمارها، وروضة هم أورادها وأزهارها،
وتقصار هم نحره، وعقد هم دره، ولا بدع أن الفخار فلك هم أقطابه، وبناء
هم شرفه وقبابه، وأن السيادة محيا هم جماله، مقلد وفعلهم مرساله، ومعصم
وكمالهم سواره، ومعلم وفضائلهم مناره.

من كل مفتخر بحدٍ لم يكن إلا خليفه
يهب التلاد لمجد عاف ويتبعه طريفه

تجملت بأبائهم الإمامة، وتكملت بهم المهابة والشهامة، وبرزوا في سماء
الشرف بدورا، وتصدروا فشأوا في الصدارة رؤوساً وصدورا، وظهروا على
الأقران أتم ظهور، وتمموا قصور الفضل بعد أن كان منهدم القصور، فهم وإن
كانوا صدورا المعالي، وبدور هذه الليالي، لم يكن فضلهم إلا بأحمد، وأبيه
وجده الأنجد.

ثلاثة بهم الفيحاء فاخرة بأحمد أنس والقمر درويش

قد سافر أحمد ليقضي نسكه، وينزل منزل آبائه بمكة، فصحبه في ذلك السفر بشر كثير، وكل ضعيف على الوصول لم يكن يقدر، نثر فيهم النعم، وحملهم على الخيل والنعم، ولما قدم على بلد ابن سعود، تلقاه بالبشاشة والجدود، وعظمه تعيظما، وكرمه تكريما، وسير معه خدمه، إلى أن دخل بيت الله وحرمه، وبعد أن قضى الوظائف، لهاتيك المشاهد والمواقف، رجع إلى البلد بالسلامة، راجياً قبول النسك وتمامه، فجازى ابن سعود عن إكرامه، بالخلع السابغة لخدمته، وهدايا وعطايا، تسفر عن غرر مزايا، ولما أن جاء البشير، بالبشارة للوزير، وكان له خالا، خلع عليه وقالوا .

جاء البشير فكادت من فرحي به أعطيه عيني
بشـرتني بمهند في الحرب يمضي كالرديني

ووجهه بالملابس الفاخرة، والهدايا الباسمة الزاهرة، إلى ذلك القادم من جحته، وافته مع الوصول لبلدته، فحصل له مع العمل المبرور، الحبور التام والسرور، في سنة السبع، بعد المائتين والألف هذا الجمع، فأقام في بلاده حسن السيرة، في الأبعاد والعشيرة، رافلاً بالمسرة، كاملاً بكل غرة، عاملاً بكل مبرة، مطاع الأوامر، في البادي والحاضر، إلى أن فاجأه الحمام، وأدخلت روحه دار السلام، في عام، لجوده أحسن الختام، سنة (١٢١١هـ).

ترجمة السيد محمود الرديني

ومن معاصريه العالمين، ومعاصريه الطائلين، (السيد محمود بن عبدالرحمن الرديني النجار)، البصري المسكن والدار، وهو إمام لا يدرك شأوه، ولا يسبق في المعالي خطوه، ولا يسبق في مضممار المفاخر فلو، ولا يقاس مع القدرة صفحه وعفوه، ولا ترتقى معاليه، ولا تعد مساعيه، ذو دين صليب، ورأي لا يزال مصيب.

كل خطب من الزمان بهيم فله الرأي المصيب المريح
هاشمي النجار ذو شرف في أفق المجد والمعالي يلوح
وثناء من نشره مطرف الفخ ربأيدي القريض دأباً يفوح
أريحي يهتزنحو العطايا مثلما هزت الغصون الريح
ذو طباع كأنهن رياض لسقيط الندى عليها سفوح
وصباح كأنه زهرالرو ض ومجد هو المصاص الصريح

ينتمي هذا الهمام إلى نسب، هو والله عروق الذهب، كيف لا وهو
واسطة عقد سيد الكونين، وزهرة ورده البتول وأبي الحسنين، ووجنتا خده
قرتا العين، أفضل من يمشي على قدمين، فلا غرو أن زاحم شرفه النيرين،
وداس مجده بالأخصمين، على المرزمين والشعريين.

كيف لا يعلو الكواكب قدراً سيد ينتمي إلى الحسنين
جده المصطفى وجد علي أتري مثل ذينك الجدين
إنما المجد مثل وجه صبيح وهما في صفاه كالغرتين
كل مجد لم يبرزاه فمجد ذو انخفاض ولو سما النيرين

قد نشأ في البصرة الرعنا، فتسامى إلى المعالي فناً ففنا، وارتفع من
متون الشرف متناً فمتناً، وانثالت إليه المحامد من هنا وهنا، وردت إليه الرياسة
فزادها حسنا، وفتحت به السياسة عينا وأذنا، وحتت إليه السيادة حنين قيس
إلى لبنى، ورمقته النجارة إذ صار لها ابنا، جرت له في بلده أحوال، لا يصبر
لها الجبال، بل لا الرجال، فثبت لها وما اضطرب، حتى انجلت ولله الحمد كما
طلب، وذلك عندما ولاه ثويني بن عبدالله زمام أمرها، وأخدمه عنق عبدها
وحرها، فسار بها أعدل السير، وبورك له فيها بالورد والصدر.

يؤمل النفع في سكانها ومتى توهم الضر من أعدائها دفعا
لله خلق له ألفيه متسعا كجووده إذ غدا للناس متسعا

فهو لا زال حاكماً بالسوية، محموداً كاسمه في الرعية، راجعاً إليه أمر
ذلك المقدم، ماضياً حكمه في المؤخر والمقدم، حامياً لها عن بني كعب، بالعزم
والحزم والعضب.

أرادت بنو كعب هواناً لأهلها وقد كلحت عن عضل أنيابها الحرب
وما بلغوا فيها المراد لأنه لقاطنها درع وعن ضدها عضب
فأراؤه هن البروق لوامعا ولو أنها في فل أعدائها شهب
كما أن مجدا عمدته جدوده سماء لها أوتاد سؤدده قطب

جرت له في تلك الأيام، وقائع كأوجه أولئك في الظلام، أسفر بها محياه
وعضبه، وشكر فيها رأيه وقلبه، وعرف بها صبره، وشرف بها قدره.

إذا عضت الهيجا واشتجر القنا فما هو في الفيحاء إلا المهلب
هو النقع فيها غير أن جبينه وصارمه بدريحاذيه كوكب
إذا ما اختفى قدر الرجال وجدته هو الشمس إن تطلع تزحزح غيهب

وبالجملة فهو الجواد لا يشق غباره، ولا يرتقى في عصره مناره.

كيف لي بحصر ندى ماجد هو الكرم
عود الندى يفضا ليس فيه ما يصم
يشبه الصبا خلقا والرياض تبسم
سيد له شرف راسخ له قدم
فاخر بأبهة زانهاله الشيم
ينقضى الزمان ولا تنقضى له الهمم
ترتجى مواهبه حين لم يقل نعم
مابه ترى سمة غير أنه العلم
لم يزل يصدره في الأفاضل العظم
ماتخال من كرم عن يديه منسجم

لا غرو أن كان للأجواد خاتماً، وفي سعد الإرفاد معناً وحاتماً، ومن البرهان على فضله، وأن لا تجود الأزمان بمثله، عنايته برفع العلم وأهله، وتصديرهم في المحافل، والرجوع إليهم في مهمات المسائل، وجمعه لكتبه، وتمسكه بسببه، وتشرفه بنسبه، واعتصامه بعراه، وانتظامه في سلك ولاه.

يا لفاضل سفرت	عن مديحه الكتب
لم يزل يرئحه	للمكارم الطرب
قد سمت بنسبته	في فخارها العرب
فارس وقائعه	لا تزال ترتقب
مكرم مكارمه	في الأكف تنسكب
رام أن يجاربه	راجف إذ يهب
فانثنى وحق له	يثنى وينقلب
ما الأجاج منتسبا	ما اللجين ما الذهب

قد بنى في بلاده البصرة، مدرسة ذات بهجة ونضرة، ووظف لها الوظائف، وجمل منها النحور والسوائف، بالكتب الفقهية، والأسفار الحديثية، والدواوين الشعرية، والمجاميع اللغوية، فامتد إليها الأعناق، وقامت على أنها شقيقة الأزهر كلمة الاتفاق، فبالجملة، هي مصدر ومدرسة، تدل على أن الباني، نادرة الأقباص والأداني، فقد عمرها أحسن عمارة، رفعت في الخاص والعام مقداره، ونطقت بلسان حالها، على أن لا يصاغ على أمثالها.

شادهها بهمته	أمأرضى الملك
شادهها معمه	مثل قبة الضلك

كيف لا تفوق المدارس، وتروق المناظر والمدارس، مدرسة أحكمتها يداها، وشملها ومدرسها ندادها.

سرحت طريفي في حسنها ممعنا فخلتها في الإشراق كالقمر
كم مسند قد صيرته مرسلا فيها وبحث حققت بالنظر
وكم أجلت الأفكار فيها إلى أن تنتج التقارير بالغرر

وكان أول من تصدر فيها فقرر وحرر، وجلا حالك الأبحاث ونور،
وأزال لثام المشكلات، وأبان عن وجوه العضلات، (محمد بن عبدالعزيز بن
عبدالقادر)، أفاض الله عليه سجال كرمه الوافر، فقام بوظائف التقرير، وأتى
بلباب البيان والتحرير، وأوضح منهاج الإرشاد، وأفاد حتى أبان عن التيسير
والإمداد، وحج بعد انتصابه بأعوام، ولما رجع بعد الانفتال من الإحرام، فاجأه
حمامه، وتصرمت أيامه، فبقيت من بعده لا يولج لها باب، ولا يفتح فيها سفر
ولا كتاب، حتى انتصب فيها (عبدالله بن جامع)، فقرت لها به العين، مدة شهر
أو شهرين، ثم عزل نفسه منها، لأمر أعرضت عنها، فأقامت بعد انغزاله،
باكية على زياله، إلى أن آذن الله بتمكني من ناصيتها، وتصديري في رابيتها،
فها أنا ذا فيها، مسروراً بطلعة منشيها، أدام الله له البشارة، وأقام به أركان
الصدارة، وبيض وجوه مطالبه، ورفع ذروة مراتبه، وبارك في إيراده وإصداره،
وأطلع شمس كماله من أفق اعتباره، فإنه رجل عصره، وواحد صقعه ومصره،
ترد إلى رأيه أوامر بلده، وتنتهي إليه مفاخر محتده، وأما عام ولادته، وبروز
بدر سعادته، فإنه زمن، نسب إليه كل حسن، فلا غرو أن أنشد فيه، بعض ما
هو لائق بمعالیه.

بدا فزمان الهنا بطاعته أسفرا
فها طيره مغرد وهما ورده نورا
وتاريخه إن ترم فقل نبأ أظهرا

فيا له من إمام، أدرك النجابة وهو غلام، حتى صار مثلاً يتلى بين
الأنام، وبدرا يجلى من دون ظلام، وسماء تجود الأرض بلا غمام، وروضا

فتّح به زهر الفضل بلا أكمام، ويذا للعلا لا تسترها الأكمام، ومعصماً سواره
النجابة، ووجها تلالاً فيه أنوار الإنابة، وثغراً يفتر عن لؤلؤ الكرم، ونحراً
قلادته الأنفة والشيم، وسيفاً النجدة قائمه، وملكاً السيادة خاتمه.

ترجمة السيد رجب نقيب البصرة

وممن أدركه وعاصره، وشكر مكارمه ومآثره، (نقيب الأشراف في
البصرة)، والنجيب الذي هو في جبهة المجد غرة، والكوكب الغني عن الوصف
بالشهرة، والقلب الذي له المكارم جثمان، والعين التي هي لأعيان الرؤساء
إنسان.

مقالة وليس لها	غير مجده حور
لم يزل يورقها	في المكارم السهر
إن يكن لنا قمرا	سافرا به العصر
فهو غير منخسف	حيث يخسف القمر
حبنا به ملكاً	فاخرت به مضر
جده الرسول ومن	أنزلت له السور
جبرائيل خادمه	والصحابة الزهر

برز والمكارم مهده، والنجابة قميصه وبرده، والعز ساعده وزنده.

يدعونه رجياً عن سمع كل خناً مع أنه عن سمات اللوم شعبان

(مولانا رجب بن مصطفى الرفاعي النسب)، والى الله عليه النعم وصب،
وكفاه كل شر ووصب، لم يزل حائزاً قصب السباق، مدعوا في حلبة المفاخر
السباق، محمود الآثار، مأمون العثار، ذا رأي وحزم، وعزم يشان بالجزم، وهمم
علية، وحكم غير محصية، وكزّات هاشمية، وشجاعة علوية، وبراعة عربية،

وأنفة بدوية، وفصاحة قرشية، ووقائع حاكتها السنابك، وطرزها باللمع كل باتك.

وقائع من وقع السنابك كالدجى يطرزها من لمع أسيافه فجر
وناهيك من بردٍ وشته سنابك وطرزه بالكف مصلته بتر

يلقى الشجعان بجنان، أثبت من الرعان.

إذا أدرع الأسد السوايح في الوغى تدرع من حد الظبابة بقلبه
هزيريرى الحكم السوي حكم رمحه وشاهده في ذاك قائم عضبه

والأزمان بعزائم، هي في الإمضاء الصوارم، وأما حلمه فطود، وأما مجده فعود، وأما علمه فغياب، وأما كرمه فماطر سحاب، وأما معشره فبدور وأقطاب.

يا لمولى يسمو السماء علواً بأناس للفضل كالأقطاب
كل ذي همة إذا فدح الخطب ب أزال العنا بوجه شهاب
وإذا ما النوال أعرض يوماً بهزالمزن منه فيض العباب
وإذا قال في ندي أناس جاء في قوله بفصل الخطاب
علوي قد أرضعته المعالي بلبان الندى ومحض اللباب

برز في البصرة الجديدة، فأبرز فيها كل خلة حميدة، ونقب فيها عن مآثر أجداده، حتى حازها على انفراد، ودعي في زمانه المفرد، ونوه بذكره كل محفل ومشهد، أعطي من كمال الآداب، ما لا يسعه نطاق كتاب، وبرز في أبهة جلالة، لا تبغي أن تكون إلا له.

ليس بدعاً إذا تألق بدرأ علوي له المهابة هاله
فاطمي لو رام بدر الدياجي أن يحاكيه ما استطاع كماله
ما رأينا من وصفه ما ازدرينا غير مجد وعفة وعداله

استوعب من الكمال كل طرف، وهز من أغصان الأفضال كل معطف
وعطف، واغترب من الإجلال كل غارب وشرف، وملك من الفضائل الناصية،
ولم يدع من الفواضل دانية وقاصية، أنجد في طلاب المعالي وأعرق، وغرّب في
جمع أشاتها وشرق، وسقى كل غصن منها فأروق، وأمطر ربع الفضل فأزهر،
وصحح جمعه بعدما كان مكسر، وبرع في مكملات السيادة، وتدرع مدارع
السعادة، حتى كان من السيادة عينها، ومن السعادة جمالها وزينها، إن عدّ
أفضل الأكياس، فقد عدّ أبذلهم للأكياس، وأصبرهم في كل خطب، وأصدقهم
في الطعن والضرب، لا غرو أن صار العمدة، من أشرف كل مصر وبلدة،
والصارم الذي لا يألّف غمده، والحازم الذي يرجع إليه في الشدة، والمصباح
المستهدى بصباحه، والمقتبس من آرائه وصلاحه، واليعسوب لعشائره، والمحبوب
في كافة مآثره، فهو الجدير بأن ينسب إليه الأخلاق المحمودة، والأوصاف
الكاملة إلا أنها غير معدودة، كيف تعد فضائله، أو يوجد مقابله ومماثله،
ومفاكته الزلال العذب، ومسامرته اللؤلؤ الرطب، تتمنى البدور مجالسته،
وتشتهي الصدور مؤانسته، وإن لم ترم منافسته، علماً أنها لا تتال موطئ
أقدامه، ولا تتجاسر على المشي من أمامه، إلا وهي معدودة من خدامه، منذ
عرفته، وصحبته وألفته، لم أره عبس واكفهر، أو نفر جليساً وهجر، بل لم
أره إلا طلق المباسم، متدفق اليدين بالمكارم، يحلي الأيدي السائلة، بالعطايا
السائلة، ويجمل المجالس، بالفوائد والنفائس، ترد إليه المشورة، وتتسب إليه
الخلال المبرورة، وإذا توسم الناظر أساريه، تيقن أن النجاة فيه مقصورة.

من أناس وليدهم ألف الفض	ل رضيعاً وما أتم فطامه
كلهم متق فمن كان منهم	فهو لا شك في الورى ذو كرامه
قرشيون جدهم قرشي	ظلمته من حر شمس غمامه

وبالجملـة فله مآثر، يضيق عنها نطاق الدفاتر، وتتقاصر عن إدراكها
هـمة كل معاصر، وها هو ذا في قيد حياته، رافلاً بذيل مسراته، بين أسرته
وسراته، مأمول الإكرام، موصوفا بكل خلق تام.

ترجمة عبدالله أفندي الرحبي قاضي البصرة

وممن حل ساحتـه، وعرف رياسته وسيادته، وشكر مروته وراحته،
ونظر بهجته وصباحته، (قاضي البصرة عبدالله الرحبي)، الدرـة التي صدفتها
الجلالة، والغزالة التي لها الفضائل هالة، والبحر الذي بوروده يذهب الإملاق
والجهالة، والكعبة المقصودة بالإكرام، والمشهودة عند فصل الخصام، والجناب
الجامع بين العلم والكرم، والبارع في العلم ومعالي الهمم، والجوهرـة التي لا
تقابل بالقيم، نشأ في بغداد، فأدرك السيادة إبان الميلاد، واشتغل بالعلم من
صغره، ودأب فيه في عشيه وبكره، فاجتنى ببستان ذوقه يانع ثمره، وسرح
طرف فكره، في ورده وزهره، وعني بجمع أطرافه، وهز أغصانه وأعطافه،
وتطريز أبوابه، وتطريف أثوابه، واستمطار سحابه، وتفصيل فصوله، وتأصيل
أصوله، وتحقيق مسائله، وتحرير دلائله، ونشر مطويه، وإيضاح مخفيه، وتبين
طرائقه، وتحسين مفارقه، وإرسال أمثاله، وإكمال أذياله، حتى برع فيه أتم
براعة، ودعا قصيه قلباه وأطاعه، وحاول ممتعه فأزال امتناعه، فهو ريحانة
المجامع، وأقحوان ما له من المراجع، ومادة أنهاره، وشمس نهاره، ووردة أكمامه،
وزهرة ابتسامه، وزهرة سمائه، ودره دأمائـه، وغرة ديباجته، وعقد جلالته،
وروح جثمانه، وشجرة أغصانه، ومقلة أجفانه، وعرنين أنوفه، ومعقد شنوفه،
وإكسير كيميائه، ونظير أعيان أبنائه، وخطيب منبره، وفارس مشهره، وزينة
معشره، وعامر معاهده، وجمال مشاهده، ومجلي غياهبه، ومحلى خرائده
وخرابعه، ومفتاح مقله، وإيضاح مشكله، ومصباح مشكاته، وهداية سراته،
ونقاية سراته، والكاشف اللثام عن وجوه مخدراته، والموضح ببيانه، مناهج

ابتداعه وافتتانه، والمرشح استعاراته، والموشح بفرائده عباراته، والناظم في سوائفه كل خريدة، هي في عقود السطور الفريدة، طلبه العلم كما ذكرناه يافعا، فكان يعلمه سعيدا ونافعا، وروى عن أجلاء مصره، وعباد عصره، فبلغ الغاية في الرواية، ودعى الكنز لأسرار الدراية، والوقاية من كل غاية، والهداية للطلاب، والمنية للفضلاء الأنجاء، والبغية لآمال الأصحاب، والبحر إلا أنه بلا ساحل، وأنه يزخر فيقذف بفرر المسائل.

بحر العلوم إذا جرى	يروي الأحاديث الغرر
وإذا بدا في محفل	فأبو حنيفة أو زفر
ومتى يحاول مشكلا	تبصره أبيض من قمر
وإذا الأحاجي أظلمت	جلى دجاها بالفكر
وإذا مكارمه جرت	فهي العباب إذا زخر
وإذا نظرت صباحه	فهو الربيع مع الزهر
يعطي بلا من ولو	أن الذي أعطى الدرر

ولي الإفتاء قبل قضاء البصرة، في الحلة فأجاد فتلته وأحسن ذكره، وعرف الخاص والعام علمه وقدره، ولما تولى القضاء عام أربعة عشر بعد المائتين والأف من الهجرة، في قبة الإسلام، وخزانة العرب من قديم الأيام، اجتمع بأحمد المترجم، وأثنى على أوصافه كما تقدم، وأحمد فضله، كما أحمد فضله، وما برحا يتعاشران طورا بالمكاتبة، وأوانة بالملاطفة والمصاحبة، تجري بينهما مراسلات، مضمنة عوائد مراسلات، ولقد سمعته مرارا، ينشر محامده أصيلا وأبكارا، ويقول:

من مثل أحمد إن سمح	منه الأيادي بالمنح
كالروض يبسم وجهه	إن يسألن ويمتدح
يزداد جوداً في الورى	إن ضنن غيم أو كلح

وكم نشري في ناديه من محاسنه بردا، ووشى بينان مقوله له شكرا وحمدا .

لا تعجبوا من نشره أوصافه حتى يفوح على الأنام ثناؤه
هذا صديق في المودة مخلص يبدي له حسن الصفات صفاؤه
فلكم عدو قد أذاع جميله والفضل ما ترويه عنه عداؤه

والقاضي المترجم له، حنفي المذهب كالملة، ذو هممة عالية، وعزيمة ماضية، وأحكام شريحية، وإن تكن حنفية، عرضت عليه بعض ما ألفته فقرضه، بعدما نظره وعرف غرضه، له في الفقه يد طولى، تقضى بفضلته في الآخرة والأولى، وأما حرفة الأدب، فهو حريريها إن نظم أو كتب، أبقاه الله للأنام ركنا، محيا من الله بالحسنى، مختوما له بصالح الأعمال، مضافا إليه كل كمال وإكمال.

ترجمة عبدالله آغا متسلم البصرة

وممن راسله وعامله أحسن معاملة، وعرف من قدره ما عرف بالمراسلة، قبل الملاقاة والمواصلة، (عبدالله بن سليمان)، حاكم البصرة مدة أزمان، هو بحر نوال، وبدر إجلال وكمال، تشهد أيامه بأنه المفرد في كل سؤدد، وينطلق لسان كل مشهد، بأنه لا نظير في ذكائه يعهد، نشأ في بغداد دار السلام، رافلا بأردية الاحتشام، فقرأ الأدب وهو غلام، ذو سبعة أعوام، فبرع فيه، وأتى على دانيه وقاصيه، حتى قيل لا أحد يساويه، عني بجمع شوارده، وتحرير نقوله وشواهد، وتحقيق قوانيته، وتدقيق براهينه، وتشبيد قواعده، وإعادة رسومه ومعاهد، وتزيين محافله ومشاهده، ونثر دراربه ونظم فرائده، قد ملك زمام الخط، وعذاره ما دب وما خط، حتى دعي فيه ابن مقلة، وإن كان في وجوهه مقلة، ولصدوره مستلماً وقبلة، فكم خط لدفتر من عذار، أبرز فيه الظلام من خد النهار، وكم وشى من خطب، على مثلها تنهل دمة الأدب، وكم له من نوادر،

هي الأوراد تفتتر عن الأزاهر، وكم له من أبحاث دقيقة، تدل على أنه النعمان في الحقيقة، وتقضي له بالفضل على المباري، ولو أنه النجم الساري، وتقدمه على الأقران، تقديم قس أو سحبان، وترفعه في البيان، رفع العالية والسنان، وتخبر أنه من هذه الأزمان، بمنزلة الإنسان من سواد الإنسان، وكم له من حكم حسان، لولا التقى قلت هي وصايا لقمان، وكم له من عائد هو صلة، وقاصد لا يريم منزله، وحامد لم يرم حامده، ومستجد يستمري فوائده، ويهز بالمدائح أعطافه، وينشر بينان البيان أوصافه، لم تزل أيامه بشموس أفضاله سافرة، ورباعه برياض أسماره ناضرة، وعيون آمال أمليه إلى منهمر أياديه ناظرة، قدم البصرة حاكما فعمرها، وكان فيها بوحها وقمرها، وحرثها بصوارمه، وغرسها بمكارمه، وقمع أعداءها وأضدادها، وأرجع يمينها وإسعادها، وجرت له فيها صنائع، هي في غيرها الغرر والبدائع، وشهدت له فيها وقائع، تشهد السنة المداعس، بأنها البسوس وداحس، أعز فيها العلم وأهله، ورفعته إذ عرف فضله، وهرع الناس في أيامه، إلى تعلم العلم وإكرامه، وتوقيره واحترامه، يكاد تباع تمائم الصغار، لاشتراء دفاتر الأشعار، حتى أنشد فيها، بعض مصافيه.

أرى العلم في أيامه باسم الثغر ضحوكا كما افتتر الرياض عن الزهر
تثوب إليه الخلق من كل جانب فتطلبه حتى من الأنجم الزهر
ولو حال متن الجود دون حصوله لخاضوا إلى إدراكه ثبج البحر
ولو قيل غوصوا البحر للعلم أصبحوا على الغوص أمضى من سيوف على نحر

وفي أيام حكومته، وزخور بحر دولته، واتسام ثغر سلطانه، وارتكام سحاب إحسانه، وارتفاع عرنين شأنه، قدم الإمام الجليل، والحبر الجهبذ النبيل، (محمد بن عبدالله بن فيروز)، فنشر عليه أردية جميلة، وحاطه بكنف إكرامه وتبجيله، وصدرة في هايتك البلدة، وكانت له يده وزنده، وبنى له فيها جامعا أقام فيه للحديث المنار، وأبان فيه عما له من الآثار، وأعاد شرحه

بعدهما آذن بالانصراف، ونشر أعلامه بعد الانكفاف، وبالجملة فأيامه شاهدة،
بأنه للفضل القانون والقاعدة، ولياليه الصباح، شاهدة بأنها غنيت بوجهه
عن المصباح، ارتجلت فيه القصائد، وانثال إلى رفته الولد والوالد، وعظمت
صلاته كما عظم العائد، كيف لا وقد زاحم بالماكب النيرين، وودت أن تقبله
شفاه الشعريين، وتمنت أن تكون له نعلين، أنجم الجوزاء والمرزمين.

في مدحه قد أصبحت غرر القوا في سائره
تجري على شبح الطرو سس لكي تنال مآثره
تفترث غراً عن معال كالرياض الزاهره
وتود شمس الجو أن تثني عليه شاكره
أرسل إليه أحمد وهو في الزبارة، هدايا هي الدرر المختارة، وسبحاً
من اللآلي هي النجوم السيارة، فود كل منهما الآخر قبل أن يراه، وتمنى لقاء
صاحبه ومرآه، ولم يزالا خليلين، من قبل أن تنظر العين العين، حتى تنقلت
بعبد الله الأحوال، وتزعزع ملكه بعد الاستقرار وزال، وولاه والي بغداد على
ماردين، فعزبه الأتقياء دون الماردين، وأقام فيها برهة من الزمان، وعزل
عنها ورجع إلى بغداد، وود أن يخلع نفسه من الديوان، ويألف المساجد، ويدع
المقاعد، ويثابر على التلاوة، ويلقى للملك الهراوة، فما حصل له ما أراد، من
وزير بغداد، إلى أن جرت وقعة خالد، فصنف معه بصفاد واحد، وأدخلا في
القلعة، وانخفضا بعد الرفعة، واسود بياض أيامهما، وتمنيا أن يجريا على
أقدامهما، إلى أن آذن الله بالفرج، فقتل خالد وعبد الله خرج، وأنزل إلى
البصرة، متلهبا بنار الحسرة، ولما قدمها اجتمع بأحمد، ففك قيده وما تردد،
وسيره بمركبه إلى أبي شهر، ونجا من حر تلك القدر، فها هو ذا نازلا في تلك
البلدة، أمنا في سربه من كل شدة، أقر الله به العين عما قريب، إنه للدعوات
مجيب، أنزلته تلك البلدة القدرة، عام تسعة عشر بعد المائتين والألف من
الهجرة.

ترجمة السيد عمر أفندي دفتر دار البصرة

وممن أولع بنشر أذكاره، ورواية آثاره وأخباره، (السيد عمر دفتر دار البصرة)، حميت من كل مضرة، هو فلك دوار، بإحياء سنن الآثار، ذو همم عالية، ونعم متوالية، وعزائم ماضية، وآراء هي مصابيح مضيئة، وسير لم تزل علوية عمرية، وفطن نقادة، وفكر وقادة، ونفس مولعة بالسيادة، ومزايا لا تكون إلا للكرام السادة، ومكارم تربو على البحر بالزيادة، وسيادة بالذروة والسعادة، حتى بعد الموت باقية خالدة، وتدبيرات على صحة عقله ونظرات إلى المعالي متصاعدة، وحلم هو الجبال الراسية، وفضل أفراده غير متناهية، وحزم ولا حزم المهلب، ونظم عنده امرئ القيس المغرب، وإقدام كإقدام ابن شهاب، ومهابة بوقار الانحجاب، وكرم لا يحوج السائل إلى الالتهاب، ومقدار يتسامى عن التقدير، وفخار لا يتناوش أدناه البدر المنير، ينتمي إلى السبطين، ويسمو بالجد لا بالذهب واللجين.

نسب دونه تحل الثريا وتدانى من دونه المرزمان
ويؤد السمك أن حل فيه أو تراه من السهى المقلتان
إن تحلا بيمينه المجد أصل هو لاشك في الورى الحسنان
وعلي وأحمد خير فرع دون علياه يسقط النيران

قد نشأ في بغداد أحسن نشو، وسما للمعالي أحسن سمو، فقرأ القرآن والأدب، حتى حاز فيه للسبق القصب، وتفنن في تفنين أفانينه، وتمكن من نواصيه وعرانينه، وكتب فدعي الكاتب، وسامر فسبق بالمسامرة، وطار إلى القوافي، بالقوادم والخوافي، وبرع في فن البراعة، ومارس الفحول حتى شأى بالشجاعة، ردت إليه سياسة بلده، وصار أميرها ومأمورها طوع يده، فلا نقض ولا إبرام، إلا قد أمسك منه بالزمام، كيف لا وهو قطب دائرتها، وإنسان ناظرتها، وأما ذكاؤه وفهمه، وبراعته ورقمه، فحدث عن العجاج، ولا تخف من

الاعوجاج، وأما نجابته فأنور من الروض إذا نور، وأسفر من الصباح إذا أسفر،
وأما خلقه فالنسيم إذا هب، والسحاب إذا صب، وأما سماحته فالزهر، باكره
وسمي المطر، فهو الجدير بأن تنتشر أخباره، وتسلسل في كل ندوة أذكاره، ويرفع
على هام السماكين مقدراته، وهو كما قدمنا لقي أحمد، فأثنى عليه أحمد، وأقر
له بالفضل المفرد، ونثر فرائد مدحه ونضد، ونوه بذكره في كل ندوة، وأبان بأن
له المكائر والحظوة، وأنه في أيامه للكرماء القدوة، وأن كل نوال وإن عم، وكمال
وإن تناهى وتم، ليسير عند نواله، وناقص عند كماله، وإن الكبير المشار إليه،
المعول في المهمات عليه، إذا لاقاه في مشهد، حافل بكل صدر وأمجد، لا تنتظر
مقلتاه، ولا تعشق سويداه، إلا مرآه وسجاياه، ثم أنشد فيه، من فيه.

يا مطلقاً طرفه في حسن غرته نظرت بدراً ولكن ليس ينكسف
نظرت بدراً وحيداً في شمائله وطالعا ليس فيه يبصر الكلف

ترجمة سليم آغا متسلم البصرة

وممن أدركه وعاصره، وعرف مآثره ومفاخره، وأعظم مقداره، ونشر
بمقوله آثاره، ووشى له برود الإكرام، ومشى له على قدم الاحتشام، وبسط
له نمارق الإجلال والاحترام، (حاكم البصرة الكريم، مولانا المفخم سليم)
القادم لها سنة الحادي والعشرين، بعد المائتين والألف بالعدل المبين، وأماط
عنها المظالم، وأناط في أجيادها أطواق المكارم، وسور منها المعاصم، بأساور
صاغتها الصوارم، وأضحك منها مباسم، كن قبل وروده قوائم، وشيد منها
قواعد ودعائم، كاد يزعزعها من الظلم الهادم، وأعاد فيها الدين وهو باسم،
ونشر فيها الخصال الحميدة، ونثر فيها من المحاسن كل فريدة، وأوضح فيها
من العدل منهاجه، وأقام أوده واعوجاجه، ورفع فيها الأبطال، كما خفض فيها
الإبطال، وأقام فيها مواسم الآمال، وكمل منها النقص، وتلا في رباعها آيات
الإحسان وقص، وشهد لسان حالها بأنه خاتم الكرماء بلا فص، كيف لا وهو

المشهور بالمآثر المرضية، والمقصود عليه كل سيرة عمرية، إن حمى البصرة بأسنه، فقد حنى على ذويها بنعمته، وقصر الباطل، ومد فيها النائل، فنصر الحق وأغنى العائل، وأحيا فيها المدارس، وأعز المذاكر والمدارس، وحسن فيها أخبار الرياسة، وأجاد العدل مقرونا بالسياسة، وزين ليالي أيامه، ببدور أحكامه، وجمع أشتات مصالحها، بعد إذلال معاديبها وإعزاز مصالحها، وشيد سورها، وسدد أمورها، ونظم عقود تدبيرها، وطوق بالآئه سائلة مأمورها وأميرها، وسقى بكأس عدله شرابا، وسربلها من حيز الحماية سراويل وأثوابا، وأطال فيها للمجد متالع وهضابا، وأجرى فيها من فواضله بحراً صبابا، ورفع مقدارها، وأصلح آثارها، وقد كن خرابا، وقمع فيها البدع، ونصب السنن فيها ورفع، فهي سافرة الجمال، باهرة الخصال، منتصبة الأحوال، ناطقة بلسان الحال.

لي الفخر إذ أصبحت ملكا لسيد	إذا ذكر الأخيار فهو المخير
أقام قناة الدين بعد اعوجاجها	وقد كريت لولا مزياء تكسر
سليم بلا عيب يرى فيه من يرى	سوى أنه بالفضل والفضل يذكر
أغر إذا استودقت وادق جوده	تلا لأمنه الملتقى والمعذر
على وجهه نور السيادة لائح	فها هو ذا في فحمة الليل يسفر
يداه لنا بحران لكن يمينه	هي البحر لكن بالجواهر تزخر
ويسراه إن مدت فيا يسرفا حضرن	ويا عسر فاذهب إن هتفك محضر

وبالجملة فهو إنسان، لعيون الأناسي وصدور الأعيان، والعنوان على كل مجد وفخار، والعلم على كل مبرة ويسار، والخصم في كل عسرة، والمستغنى عن الوصف بالشهرة، والشمس التي ليس لها من مغرب، والبدر الذي فلكه المنصب.

هي الرتبة القعساء وجها وبهجة	وغرة ذاك الوجه فضل سليم
بحلم أيا بحر تراه وإن يكن	هو البحر مجرّي بكل كريم

والمبتدأ الذي أخباره لا تحصر، والفاعل الواجب أن لا يضم، والمضاف إليه كل فضل إلا أنه لا يكسر، والمتعدي فضل نواله فلا يلزم، والمعدوم مضارعه ولو كان المتقدم، والمرفوع الهمم بعزم لم يزل يجزم، والمنصوب المجد فلا يهدم، والمبارك له في مسعاه، والمنفرد بعلاه عمن عداه.

يا سائلي عن رأيه ونواله هذاك فجر قد أضاء وذا خضم
وإذا سبرت العزم منه فإنه غطت شباءة جده منه الهمم
فإذا دجى ليل النوائب خلته بداراً يزحزح نوره سود الظلم

إن تفرد بسيادته عن القرين، ونباهته عن المعاصرين، فإنه المستبد بالأخلاق الزاهرة، والأوصاف التي هي البدور السافرة، والطباع التي هي الرياض المفتحة، واللطائف التي هي المرنحة.

أيامه غرّ الوجو ه كأنها الأعياد
وطباعه هن الريا ض يزينها الأوراد
وأكفّه هن البحا ر يرودها الأوراد

إن كانت جلساؤه النجوم الزواهر، فندماؤه هي أناسي النواظر، ومدائحه إكسير الدفاتر.

أكرم بمن ندماؤه أبدا أناسي النواظر
وأكفّه روض ول كن صحبه فيه الأزاهر
من مثله في المكرما ت وفي المعارف والمفاخر
فخرت بها الفيحا على كل الممالك والديساكر
لا تعجبوا من فخرها بوجوده فالأمر ظاهر
كل له فضل ول كن فضله كالشمس باهر
أبدا يرى متعديا وسواه في الإعطاء قاصر

وفي العام الرابع والعشرين، بعد المائتين والألف من مهاجر أفضل المرسلين، أرسل إلى نقيب الأشراف، بأن أسعفه أتم إسعاف، بقراءة جامع الإمام البخاري، في كل الأيام، فأسعفته بما أراد، وقرأته على رؤوس الأشهاد، بحضور صدور دولته، مع ما هو عليه من أبهته وصولته، فلم يزل مثابراً على استماعه، بخوله وسائر أتباعه، متخلقا بأدابه، مصغياً لتراجمه وأبوابه، فازدادت سيرته حسناً، وكملت مزاياه حساً ومعنى، وولع بالآيات القرآنية، وبالأحاديث النبوية، فجمع من يقرأ القرآن في مجعته الرحيب، ونثر عليه موائد الإكرام والترحيب، لا زالت أيامه باسمه، وأياديه على مواليه ساجمة، وتعطفاته شاملة، وأوصافه كاملة.

ترجمة الشيخ عبدالله بن داود النجدي

وممن بصحبته عرف، وعرف بمحبته ووصف، ورحل إليه ولاقاه، فاغترف من بره ونداه، (عبدالله بن داود النجدي) ، الماضي في العزم مضاء الهندي، ذو الكرم الذي يحيا به فضل يحيى وجعفر، والهمم التي عن حملها الدهر يعيا ويصغر، والآراء التي هي الصباح إذا أسفر، والوقائع التي هي الظلام إذا عسكر، والأخلاق التي هي أنفاس، والطباع التي هي الورد الآس، والصبر الذي تعجز الجبال عن احتماله، والفخر الذي عدم من أشكاله، والمجد الذي لا يستطاع رقيه، ولا يلفى مضارعه وسميه، والقدر الذي لا يسامى ارتفاعه، والفتى الذي لا تداس بالضميم رباعه، والبراعة التي يضرب بها المثل، والمحاسن التي تشوق لها القلوب والمقل، وتتفاخر بسماع أخبارها، مسامع أشراف القبائل وأخبارها، ونفائس يتنافس فيها المتنافسون، ويتسامر فيها في المحافل المتجانسون، وفتاوى إليها يرجع المتشاكسون، وحكم يجب تقليدها، ولا يحصى تعديدها، ومعارف إلى مثلها يهرع، وعوارف إلى نيلها يسرع، ولطائف هي الشمول، وطرائف أرق من القبول، وعفة هي بياض النهار،

وأريحية هي روح العقار، ورزانة هي الأطواد، وديانة تتقاصر عنها العباد، وصيانة أعراض، ومتانة على ذوي الإعراض، وسهام أفكار مصيبات الأغراض، ومعالم علوم، تهتدي بها الفهوم، وهضاب من الفضائل، تقصر عن إدراكها يد المتطاول، وبدائع رسائل، تعجز عن مضارعتها المدارة والمقاول، لا بدع أن تتشرف برقيه المنابر، ويروم أن يحاكيه المثل السائر، فيرجع على الأعتاب وهو قاصر، فما الحريري في مقاماته إذا سجع، وما البديع إذا ارتجل وابتدع، وأما ورعه فما أظن أن يباريه ورع، وأما علمه فهو البحر إذا هاج، وشرع في التبرهن والاحتجاج.

ولد في حرمة من قرى نجد، بإهمال الحاء والراء عند ذوي النقد، فقرأ الفقه على الفاضل التويجري، وهو بأن يأخذ عنه جدير وحري، ثم تحولت به الأحوال، فنزل البصرة القديمة بالأهل والمال، واغترب غارب الرحلة، واكتهل كاهل النقلة، إلى الديار الشامية، فلقى من المشايخ جملة، وقرأ النحو والمصطلح، وغيرها مما سنع، وذلك على مشايخ أجلمهم العقاد، لا سيما في الأداء والإسناد، ثم رجع إلى منتجع أهله، وألقى فيه عصى ارتحاله وحله، وقام ينثر الفوائد، ويدعو بلسان كرمه إلى الموائد، ثم رحل من ذلك المنتجع، ليأخذ عن الرحلة المتبع، شيخ السادة الحنابلة، وقدوة الفرقة الناجية الفاضلة، (محمد بن عبدالله بن فيروز)، فقرأ كتاب التجريد في الأصول، الجامع بين الحاصل والمحصل، مع زيادة فوائد واجبة القبول، فلقى في سفرته هذه أحمد، فحصل له الإكرام من ذلك الأجد، ثم رجع إلى مستوطنه، فأقام مثابرا على سننه، مكاثرا بإفادة علمه ومننه، إلى أن دعاه داعي الأجل، ونزل به موته وحل، ودفن في تربة الزبير، مشهودا له بالصلاح والخير، وذلك في الثانية عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة، سقى الله تعالى بشآبيب الرحمة قبره.

ولما ذكرت من أصحاب أحمد هذه الجملة، أحببت أن أذكر ما جرى له من النقلة، وما وقع له مع وزير بغداد، مما حقه أن يذكر ليستفاد، وينوه به في كل محفل ويعاد، وتطرس به الطروس، وتروح به النفوس، فقلت: ثم إن المولى أحمد، ما زال يتسامى إلى المعالي ويصعد، ويدأب في محاسن الأمور وينصب، ويسيل في أودية المكارم وينصب، ويوشي برود الأفضال، ويودع الأيام لأكرم الخلال، في بلده المحكمة العمارة، المشرفة الصدور بذى الصدارة، وينشر فيها أوصافه المبرورة، ومكارم أياد لا تزال مجرورة، وينظم في سلك الزمان خرائد حسان غير محصورة، ويطوق الحاضر والبادي، بجواهر الكرم المبادي، فيروي كل صادي، فيطوق الأعناق، بأطواق الإرفاق، فكم أزال من أدواء وإملاق، بأدوية إنعام وإنفاق، وجلى ظلم إفلاس، ببدر وأكياس، وعطر ندوة جلاس، بكلمات أذكىء وأكياس، وأتعب أقلام، بتطريز برود نظام، وزين أوراق، بسطور كسواد أحداق، فلا غرو أن تفخر به الأيام، افتخار اليد بالحسام، والسماء بالغمام، والروض بالكمام، والورد بالزهر، والصدف بالدرر، والوجوه بالغرر، والرمح بالسنان، والشجر بالأفنان، وأيار بالأوراد، والظبا بتلع الأجياد، والمقلة بالسواد، والحسناء بالجمال، والأفق بالهلال، والأعماد بالنصال، والمربع بالنزال، والساق بالخلخال، والعقد باللال، والنحور بالعقود، والأجام بالأسود، والترائب بالنهود، وتتشأر أذكاره في الأكوان، فيعطر أرجها كل مكان.

نشر الفضل بالبنان فأضحى	عطرا منه برد كل زمان
وأضاءت في الناس شمس نداه	فهي منظورة بكل مكان
أتعب النفس لابتغاء المعالي	فاستراحت منه بنيل الأماني
أطلق الكف بالنوال ففكت	من أسار الزمان أيدي الغواني

وفي هاتيك الليالي، التي هي ببدر كرمه حوالي، غرق له مركب، بجملة أموال لا تحسب، وحين بلغه الخبر، صبر وما اكفهر، وتبسم وما أبدى الضجر،

بل زاد تبسمه، وتعاضم تفضله وتكرمه، فتزوج في الحال بكرةً، ونشر موائد الكرم نشرًا، وأظهر بشاشة وبشراً، فرأى أعداؤه منه العجب، وأقروا بعلو الرتب، والفضل ما شهدت به الأعداء، والكريم من أعطى بلا إكداء، والصبور من عض بناب زمانه، ولم يبد أثر العض لإخوانه، فازدادت دولته أضعافاً، وسمت رتبته أوساطاً وأشرفاً، واعترف له ذو الهمم، بأنه الإنسان المتعالي عن القيم، واستظل كل مصيف، بظلال أمواله الوريث.

ذكر علي باشا كتحدا بغداد

ومن زخور بحر دولته، وظهور كلمته، وعلو مكانته، أنه لما توجه الوزير المفخم، والأمير المعظم، (علي باشا كتحدا بغداد)، إلى هجر وما والاها من البلاد، للاستيصال على ما تملكه ابن سعود، وقتل ما سيره إليها من الجنود، وإعادتها على ما هو المعهود، والتولي على ما فيها من القصور، وإصلاح ما عراها من الخلل والقصور، وتشديد أركان الإسلام، وإراحه الأنام، من تلك البدعة الطامة، وإخماد تلك الفتنة العامة، فضرب فيها أوتاده، ليلبغ بالمحاصرة مراده، أرسل إلى آل خليفة، برسول وصحيفة، يروم منهم النجدة، والمناصرة والعدة، والمعني بذلك من فوفت حمده، وحين اطلع على تلك الرسالة، أيقن أنها لم ترسل إلا له، فقام على ساق الاجتهاد، بإنجاز ما منه الوزير أراد، فأرسل عساكر وهدايا، وصحائف منطوية على وصايا، فأما الهدايا فإنها يجب أن لا ترد، وإن كانت لغزاراً لا تعد، قد اشتملت على أنواع فاخرة، تذكر من رآها حلل الآخرة، وتخبر عن مكارم، لم تعب إلا أنها خضارم، وتحكم له بالفضل على من ناظره، فلا غرابة إن تعد بها الأمثال سائرة، وتمسى أذكراها على كل مقول دائرة، وتقبس من حرها وجوه الحسدة فهي باسرة، وترجع أيادي المتطاولين عن تناوشها قاصرة، ومن جملةتها ركاب، كالرياح في الحباب، والسحاب في الانصباب، تحلين بالبري، وسبقن البرق بالسرى، إن اشترين بألوف من العين،

فما أكوارهن إلا الذهب واللجين، وإن كن هدايا، فقد أثقلت متونهن العطايا،
ولقد أجاد القائل، في أوصاف هذه الرسائل.

إن تلك النياق خير ركاب ومطايا أشبهن مشي الرياح
يتنازعن مرسلات براها بدميل حكى سلاف الرياح
وصدور ما زادهن صدود في طباع في اللطف كالأرواح
خافقات الرؤوس طبعا بقوم كغصون الربى لفعل السماح
بوجوه كأنهن بدور وأياد عودن للانفتاح

وبالجملة فهي من أجل العطايا، وأجزل المواهب والهدايا، وقد أصبحت
تلك الركاب عشرين ألفا، أو تزيد عليها ضعفا، وملابس من الحرير الغالي،
وعقود منظمة باللآلي، فلما أوصلها الرسل بالتمام، إلى حضرة الوزير الهمام،
عظم لديه قدرها، وطاف في الآفاق ذكرها، وصار لا يتحدث اثنان إلا بها، ولا
تدور رحى السمر إلا على قطبها، حتى بلغ صيتها المشرق والمغرب، وتدارسها
في الأنداء كل معرب، وفاح نشرها وضاع، وشنفت بأقراطها الأسماع، وقام
الاتفاق والإجماع، على أنها هدية بلقيس، وإن حملت على العيس، وحصل لها
حال الوصول، من ذلك الوزير القبول، وبلغ الرسل بها كل سول، ولما ضمتها
رحابه، ونظرها جلساؤه وأصحابه، قال: (أعني الوزير المشار إليه، المفوض
زمام الأمر بيديه): إن هذه لهدية عظيمة، لا تخرج إلا من يد كريمة، ولا تسل
في هذه الأزمان، إلا من أحمد لعلي وسليمان.

ترجمة محمد بك الشاوي البغدادي

وكان واقفا بين أيديه عند فض ختم هذه الرسالة، ونسج برود تلك
المقالة، (محمد بن عبدالله الشاوي)، وقد كان من عذب أفضاله راوي، أيها
الوزير المعظم، والهمام المطاع والمقدم، إن العرب على ما لها من الكرم، لتعلم

أنها الأنهار وهو الخضم، وإن الكرم قد مات فأحياء، وإن الشرف وجه هو سناه، حتى إن الناس في زمانه، يتفاخرون بلثم بنانه، والتقاط جواهر امتنانه، التقاطهم الفصاحة من بيانه، ويتباهون بمشاهدته، فضلا عن معاشرته، وإنه الفرد الكامل، والأشرف من عرنيين القبائل، هو الواقف بين يديه، والممتدة الألفاظ عليه، فاستقر عند الوزير صدقه، بعدما أعرب عن فضل أحمد نطقه، وعلم عين اليقين، إن المومى إليه خاتمة الأكرمين، وكعبة الراجين والآملين، وهل تخفى الشمس على الناظرين، وقال: يا محمد، قد عرفنا المقصد، وتبين أنه كريم المحتد، وأنه خلاصة الزمان، وصفوة هذه الدنان، وأن إكرامه ألزم، من أداء الفرض المحتم، كيف لا والبادي بالفضل أكرم، ففاه محمد عند ذلك، وقال: جلت عطايك، وعلت أوصافك ومزايك.

إني أرى أن تستريح من القنا إن الثواقب لا تناوش باليد

أتري أنك تقابل هديته، أو تطاول في الكرم راحته، كلا لن ينال أحمد ما ناله، ولا يفاضل الخضارم أفضاله، على أنكم وإن قابلتم هديته في الدنيا، لكانت يده في ذلك هي العليا، فالأقرب أن يفوض زمام هذا الحال، فانظر ما يليق بقدرنا لا بقدره العال، فإن قدره لا يقدر، كما أن فضائله لا تحصر، قال الوزير: ذلك إليك، وأمره موكول عليك، قال محمد: اجعل أمواله لا تعشر، ليشتيع ذلك في كل محضر، وهو يسير في كثير هباته، وشيء نزر من وافر صلاته، فعند ذلك وجهوا إليه بالأوامر، منشورة في مشاهد العساكر، بأن لا يعشر ماله، ولا ينازع مقاله، وأن يشهر في الآفاق إجلاله.

ولما وصلت الأوامر لبلده المحمية، وحصلت في رحبته الأحمدية، وفض ختامها بينان الاحتفال، ورننا إليها نظر تودد وإجلال، وقرئت في مشهده، على سراة محتدة، أمر على الرسل والواصلين بها، الفائزين بنقلها ومنصبها، فألبسوا أفخر الملابس، وجعلوا في أرفع المجالس، المفروشة بأظرف الطنافس،

وأمدوا بالنضار، وأنسوا بالطف الأسمار، وأطعموا من أطيب المطاعم، ونظموا في سلك أصحابه الأكارم، إلى أن قفلوا عنه بالإكرام، ورحلوا عنه وهم باكون على ذلك المقام، قائلون: إن الأيام، عقيمات بمثل هذا الإمام، آيسون من أن تنقل إلى نظيره الأقدام، أو يرى لحظ نظيره من الأنام، أو تدرك الهمم منه المرام، مصحوبين منه بسبح اللآلي، إلى الجناب المولوي العالي، وهدايا قل فيها ما شئت ولا تبالي، وتحف تشهد أنه أبو المكارم وأخو المعالي، وأنه الشمس وسائر الكرام الكواكب، وأنه البحر إلا أنه غير ناضب، مصحوبة تلك التحف برسائل، وكتب شاهدة بفضل المقابل، مسفرة عن وجوه آداب، ومكارم دونها سيل السحاب، وآراء هي البرق الساري، وعزمات هي السيارة من الدراري، ولطافة هي نسائم السحر، وحلاوة هي السقط فوق شفاء الزهر، وظرافة هي الزهر المطلول، وعفافة هي الصباح المسلول، وميامن هي الحلل الموشيات، وقرائن هي العرائس المجليات.

ترجمة الشيخ صالح بن سيف النجدي

قد وشى برودها، ونظم عقودها، الأملعي اللوذعي، (صالح بن سيف النجدي الحنبلي)، سقى ثراه من الرحم وسمي وولي، فقد كان عنده بمنزلة لا ينزلها إلا الكلمة، كيف لا وقد رمقته نواظر الكرم، وسحت عليه من أيديه شأبيب النعم، ورفعته عوامل احترامه حتى صار للفضل العلم، وانضاف إليه فتصدر، وانتصب لأوامره فكان للخيرات مصدر، وبالجملة فهو من أجل اللاتذنين بجنابه، وأبرع منشئيه وكتابه، جمع مع العلم أدبا وافرا، ونظما كالأمثال أمسى سائرا، وفضلا جليا كالنص ظاهرا، ودمائة أخلاق، وبهجة لم تزل ذات إشراق، وبياض أعراض، وإقبالا على الطاعة بلا إعراض، وأفعالا لم تدنس باعتراض، أخذ العلم عن العلم، بعدما رحل إليه من نجد وبه انتظم، مولانا ابن فيروز الأفخم، عالم الآفاق العربية، وسيد الطائفة الحنبلية، وعن

الزواوي وابن مطلق، فأثار بعلمها قلبه وأشرق، وسلسل عنهما كل مقيد ومطلق، وحرر عنهما كل بحث وحقق، واتصل نسبه العلمي بها وحقق، إلا أن أكثر روايته، وأعظم روايته، عن ذلك العلم الأول، فقد أبان له ما أشكل، وحقق له المجمل والمفصل، وأخذ عن غيرهم من علماء البحرين، ونجد والحرمين، وقرأ صحيح البخاري بين يدي شيخه المقدم، فبرز في فهم معانيه وتقديم، وحصلت له الشهرة في هاتيك الأطراف، وسلم له أضداده مع العلم الإنصاف، وكان مع ذلك العلم التام، ذا صوت يصغي لسماعه الحمام، وجراءة لا توجد في غيره من الأنام، نقلته الأقدار، عن تلك الديار، فأناخ راحلة آماله، بساحة كرم أحمد وأفضاله، فنظر إليه بعين عطفه، وأنزله في ظلال حمايته وكهفه، وأذاقه برد إكرامه، وكساه برود أفضاله وأنعامه، فولاه ديوان الكتابة، والتدريس بجامعة والخطابة، فحكى برقة نظمه ديوان الصبابة، وبوعظه ابن نباتة ولا غرابة، وصار عنده، يده وزنده، هذا وعندما قفل الوزير عن المحاصرة، لقلعة الزاد وضعف المناصرة، وبلغ خبره الزيارة، وكانت لأحمد ترجع الاستشارة.

الكلام على بلدة جو من البحرين

أمر أهلها بالارتحال، إلى جزيرة أوال، حذراً من استيلاء العدو عليها، وبلوغ الشر إليها، فنزل موضعاً موسوما بجو، وبنى فيها منازل شاهقات إلى الجو، وعمر منها الأراضي، بالطاعات والمراضي، وأقام فيها وهو قطب رحاها، وبدر سمائها وقلب حشاها، يخال في برود الكرامة، وينهى عن الاعوجاج ويأمر بالاستقامة، ويدأب في التدبير، وينصب في مصالح التعمير، ويتألف النصير، ويتعرف إلى كل مأمور وأمير، ويجهد في التأليف، بين القوى والضعيف، ويقرب ذوي الرياسة، ويصطفى أهل الإصافة في الفراسة، ويتلطف بذوي النصر، رجاء أن تكون منهم النصر، فأياديه وإن كان ذوارف، فهن معقل لكل خائف، ونواديه وإن أصبحت مآلف، فهي لأطواق عوارفه سوائف، ورحابه وإن أمست

متفسحات، فهن معاطن لذوي المبرات، وعزائمه وإن حاكت الصوارم، فهي لأفعال الشر جوازم، فلا بدع أن أصبحت منازلها ضاحكة المباسم، مرفوعة الذرى مشادة الدعائم.

حلفت أوائل بأن أحمد ذا الندى سبق البرامكة الكرام مكارما
وشأى المهلب في إصابة رأيه وشأى ابن ثعلبة الأغروحاتما
وشأى ابن قيس أحنفاً في حلمه ومهلهاً في عزه ومزاحما

فلقد أطلع فيها كواكب السعود، ونظم فيها من المكارم قلائد وعقود، وحين أتم عمارتها، وقصد الخاص والعام زيارتها، ورحل إليها القاضي والداني، وتمنى رؤيتها المطلق والعاني، نزع بين حكامها الشيطان، وبين سلطان عمان، فسير إليهم الجنود والمراكب، واستولى على الكاهل والغارب، من دون أن يكون له مطاعن ومضارب، وصير حكامها من جملة الرعايا، وما كانت منه إلا إحدى البلايا، فالتجأوا بعد ذلك إلى ابن سعود، فأمدهم بقبائل وجنود، فركبوا إليها بعد انصراف العماني إلى أقطاره.

الكلام على مدينة البصرة

ووصوله إلى قرارة سلطانه وقراره، وارتحال جناب مولانا المترجم، إلى البصرة كما سيعلم، واستولوا على أوائل، بعد قتل كثير من الرجال، ونهب جم من المال، وملكو ابن سعود زمامها، وحكموه عليهم بعدما كانوا حكامها، ولعل التجاءهم إلى ابن سعود بالسبب، في انتقال شمس الفضل وكنز الأدب، عن أوائل إلى البصرة، الغنية عن الضبط بالشهرة، البلدة التي عن فضلها لسان الحصر يقف، ويعجز عن تعداد أوصافها الماهر حين يصف، ويتباهى في نزولها الأشراف، ويتزاحم عندها الملوك بالأكتاف، ويبر الحالف بأنه ليس لها من نظير، وتود الشمس أن تنزلها بدل البدر المنير. فحط فيها رحله، وبسط

في سكانها فضله، حين تلقوه من بعيد، وجعلوا يوم قدومه يوم عيد، واستتشقوا
لما واجهوه أخلاقه.

ذكر نزول الشيخ أحمد بن رزق البصرة

استصبحوا بهجته وإشراقه، واستغنوا عن المصاييح منه بالطلاقة، ولما
بلغ والي بغداد، وصوله بالسلامة إلى هذه البلاد، وجه إليه بأوامر شريفة،
وملابس فاخرة ظريفة، بأن ينزل من البصرة ما يختار، وأن يعامل كالمملوك
لا التجار، فانتجع من تلك البلدة منتجعا، رأى أن ينزله وحده، وذلك في عام
خمسة عشر بعد المائتين والألف من الهجرة، فأفاض على سكانه، موائد كرمه
وإحسانه، وأخذ في إقامته ببنائه، وتشبيد قواعده وأركانه، وصنع فيها الآطام
المحكمة، وأعلى فيه الشرف وقومه، وعمر فيه مسجده، وأكرم ركعه وسجده،
فصار كعبة يقصد من الآفاق، وتتثال إليه الرفاق، للعبادة والارتزاق.

يا له مسجدا منيراً مضيئاً لن تراه إلا وفيه مصل
قد بناه تقرباً ثم نادى يا أهيل الصلاح هل من يصلي

وبالجملة فبلدته التي أحكمها، يجب على كل فاضل أن يعظمها، فإنه
زينها بقصور، هي بروج للبدور، وأفلاك شمسها الحور، ونثر فيها على من
جالسه، أو سامره وأنسه، الدر المنظم، وقمصهم بالعطا وعمم، وأعلى منها
المجالس، وعظم فيها المجالس، ونادى منادي أياديه، هلم إلى روض مآديه،
وعكف على بابها الناس، ونما فرع الغنى كما ولى به الإفلاس، وجلبت له أعناق
المذاكي، فحاكاه الخضم فرد عنه وهو باكي، وزفت له الكواعب من خدورها،
وخطبته المعالي بعد بذله لمهورها، وأطاعته العوالي والظبا، وخدمته الأقيال
قبل حل توائم الظبي، ورنح تلك البلدة الطرب، فكادت تطير من الفرح ولا
عجب، إلا أن محتم القدر، جعل اسمها مما يشتأ به البشر، فنزلها حذاراً من

الطيرة، واعتماداً على أن ليس إلا ما قدره، وألا يمنع الحذر وقوع ما علم، في الأزل أنه يسلم، فشيدها بالسور، وأيدها بالخميس المنصور، وكسر شوكة من عاداه، ونطق لسان حالها وفاه.

لي الفضل في الدنيا على كل بلدة ولو أنها ذات العماد وبغدان
وأقصر قصر في ليس يطوله خورنق نعمان ولا القصر غمدان

فلا غرو أن استعبد كل حر، بتطويق النضار والدر، ولقد ألقى إليه ذوي الصدارة، زمام التدبير والإمارة، وأجمعوا على ما أراد، وعرفوا له المقدار والسيادة، وبالغوا في امتداحه، وانقادوا لصحائفه وصفاحه، واعتقدوا النجاح في إصداره وإيراده، وتيقنوا أن اليمن في مراده، ورفعوه لما سبروه، وارتفعوا حين صدروه، وخدموه بالأنفس والأولاد، وهدوه بالأرواح والأحفاد، وأنشد فيه شاعرهم وأجاد.

قال الحواسد ما رأينا في الندى أبداً كأحمد في الزمان الأول
إن كان للفضل ابن يحيى جعفر فنواله لم ينحصر في جدول
زعم الملوك بأن ينالوا مجده لو كان يمكنهم وصول الأعزل
هيات أن يسمو علاه واحد ولو انه في مجده أبداً علي

أفاض على الأيام، ملابس الإكرام، فابتسمت ثغورها، وانشرحت صدورها، وأشرقت نحورها، وفاخرت أزمانه الأزمان، وبلده سائر البلدان.

أكسب المجد والثناء بلاداً حل فيها وما له من نظير
كل مجد فإنه منه يبدو كبدر البدر في الديجور
فضلته الأنام فوق بنيتها فلذا كان فوق أعلى الصدور
فاق كيوان رفعة وشأى الأقف مار نزلاً وفي ابتسام الثغور
فهو لا شك للعلا مقلتها ونده من عينها كالنظير

عظمته أعداؤه إذ رأوه صاعد الجد سامياً بالظهور
إن حمته بيض الظباة فكم كما ن حمى بالصفاح بيض الخدور

ولما أكمل تأطيد تلك البلدة، أجرى فيها على سكانها رفده، وأعز منها
التلعة والوهدة، وحماها بالصمصامة والصعدة، وعمرها أتم عمارة، ورفعها
حتى حسدتها السيارة، وحصل لها من الاشتهار، ما للشمس في رابعة النهار،
وتناقلت أخبارها الركبان، وضرب بها المثل كل إنسان، وقيل فيما لها من
البنيان، ما للخورنق أن يطاولها ولا غمدان، فحق لمن نظر عمارتها، وتأمل
حسنها ونضارتها، أن يفاخر بها بغداد، وإرم ذات العماد، وأن ينشد فيها، على
رغم معاديبها.

هذه الجنة التي حار فيها كل طرف و حار كل بصير
هل رأى الناظرون إحكام مبنيتها وهل كان مثلها في القصور

اشتكت إليه باكية بين يديه، وقالت وهي راجفة عليه، أيها الهمام
المصدر، والأمير على كل مؤمر، والمفخم على كل موقر، علت كلمتك، وسمت
همتك، إن الأبنية وإن علت، والأفنية وإن زهت وحلت، لا تروي الناظر، أو تسر
الخاطر، إلا بالمسامر، الناظم الناثر، يلقي الأذهان، ويقصر الأزمان، ويزيح
الهم، ويريح أخوا الغم، وينشر مطارف الآداب، ويعطر بالحكايات الرحاب،
ويطرب بالنعيمات الأصحاب، بطبع كنسيم السحر، وصباح كالقمر، وخلق
كالروض ذي الزهر، فأجابها، بعدما علم صوابها، وقال: أيتها الأبنية، والأفنية
المعتلية، قد أسمعت من كانت له أذنان، ونبهت منه إنسانا غير وسان، قد
اتخذنا فيك سمارة، إن شئت شموسا أو أقمارا، من كل ما غني بأدبه، عن
وفره ونشبه، وكل مولع بإنشاده، ولع الحمام بإغراده، كل ذي طبع أريحي، وخلق
عطر أفيحي، يتناثر من فيه السمر، تتناثر السقيط من شفاه الزهر، يسمو
بالآداب، ذو السلاف بالحباب.

ترجمة الشيخ محمد بن سلوم

كالفاضل الحيسوب، الكائن من الأفاضل كاليعسوب، (محمد بن علي بن سلوم)، المشهور في غزارة العلوم، فإننا قد اتخذناه لنا سميماً، وجعلناه من مقلة إكرامنا نظيراً، لما لم نجد له في الفضل نظيراً، حافظاً لأسرارنا، واقفاً على وفق اختيارنا، مثابراً على الآداب، مثابرة على حقوق الأصحاب، عارفاً بدقائق الحساب، معرفته بشقائق الأنساب.

كل ما يسأل عنه عنده خبر منه فإن شئت أسألي
واسألي أقرانه هل وجدوا مثله في الزمن الماضي ولي
بحر علم زاخر كم وارد جعفرأ منه ولما يسأل

أبرزته القدرة، كما أبرزت من الصدفة الدرّة، من نجد عندما وجبت عليه الهجرة، فرحل إلى هجر البحرين، بالتقى والعفاف والزين، فورد من عيونها أعذب عين، أعني عين عيون المعارف، ومنبع الإفضالات والعوارف، (محمد بن عبدالله بن فيروز)، فأخذ عنه في الحساب، وحرر عنه الفقه والآداب، فروى من عين تحقيقه، وتميز على الأقران بتدقيقه، واهتدى بواضح طريقه، وأحبه حتى صار كمشقيقه، وروى عنه كل صحيح وحسن، وأرسل عنه كل نوال ومن، وانضاف إليه فكسب الصدارة، واعتمد عليه فيما انتقاه واختاره، فصار عمدة في نظرائه، وقدوة يقتبس الصواب من آرائه، بالجمله فقد تأدب به أدبا، تباع في تحصيله أيام الصبا، وترنو إليه بالأحداق أفنان الربا، ودأب في اقتناص ما ند، وسلك للعلوم كل يفاع وخذ، واقتطف من رياضته أزهى ورد، ومد إليها الباع، فبلغ الكف والذراع، وأدرك الدقائق الحسابية، ودعي من علم الفرائض عصيه، فلباه وملكه ظاهره وخفيه، حتى صار فيه العلم، ودعي في بحاره البحر الخضم، وأرسلت إليه العويصات فحلها، والأحاجي فأزاح مشكلها، وكشف عن وجوهها اللثام، حتى نظرت كالبدر ليلة التمام، ألف

مؤلفات تعقد عليها الخناصر، وتحقق بها النواظر، من كل مناظر، فلو قابلتها الأشباه لم تكن لها نظائر، لاغرو أن صارت لعين المعادي أرقا، وفي حلق المبادي شرقا، قد أخذت عنه طرفا من علم الفرائض، والفلك فكان كألف رائض، وعاشرته في مدة أعوام، فما أغضبني يوما من الأيام، على أن الفضل منه عليّ، والعلم منه أبدا يجري إلي، إن يكن أحمد قد أهله ، لمفاكتهه وبجله، فقد وافق شن طبقه، وسقط الحبر على الثقة.

إن يكن أحمد رآه نديماً فهو لا شك مقلة الندماء
أو رآه إلى الملوك سفيراً فهو في العين قدوة السفراء
أشبهه البدر في علاه ولكن ما له مطلع سوى العلياء
كم نظير وجدته لأريب ولشيخي ما خلت من نظراء
هل رأيت نظيره في المعالي أو شبيهاً له بفرط الذكاء
أرضعته من المعالي ثدي منعتها عن سائر الأبناء
فهو في الفضل خير بنيتها فاسألوا عنه أنجم الجوزاء

صدر في كل مجلس، وبدر في عين من إليه يجلس، النجابة عليه لائحة، والنباهة من حركاته رائحة، قد أخذ من كل فن جملة سالحة، مع أنه لا يزال للخموم مظهراً، وبدثار التجاهد متدثراً، ولكن إذا نطق، أسكت سائر الفرق، وإذا كتب، انقاد له الأدب، ولبته المعاني من كتب، وإذا قرر في الأصول، أوضح منهاج الوصول، إلى الحاصل والمحصول، وبالجملة فهو ريحانة أوانه، وجمانة الفضل في أقرانه، وغاية كمال، وآية أفضال، ومنتهى الإرادات، ومقنع الإفادات، وإقناع طلاب، وغنية أصحاب، ورعاية آداب، وجامع شرف، وحاوي طرف، وروضة نضار، زهرها القول المختار، ولد عام المائة والستين، والألف من هجرة أفضل المرسلين، وها هو في سربال الحياة رافلا، وبغرر الأوصاف ولله الحمد كاملاً.

ترجمة عبدالمحسن بن مسلم

واستتبع ذكر هذا الإمام، ذكر بعض الظرفاء الكرام، (عبدالمحسن بن مُسَلِّم)، بفتح اللام كمعظم، وهو إن كان عامياً، أراد بصحبة أحمد حرياً، ذو نكت غريبة، وحكايات مضحكة عجيبة، يكاد يؤلف بين الماء والنار، ويرأب صدع الزجاج بعد الانكسار، هاجر من نجد بعدما خط عذاره، وقبل أن يلوح في مسودة نهاره، فأولع بصحبة الكرماء، والجهاذة العلماء، ليكسب إما درهماً، أو نصائحاً وحكماً، وأجل من صاحبه، وأجلته منه المصاحبة، أحمد المطرز له هذا الكتاب، المفوفة من مدحه برود هذا الخطاب، فكان معه يكثر الدعابة، مع ما هو عليه من المهابة، والأنفة التي لا توجد إلا في أسد الغابة، ويفضي له بعض أسرار، يخاف عليها من الإظهار، وبالجملة فهو في العوام عجيب، وفي صناعة التأليف بين المتهاجرين غريب، فإنه لا يزال يسدي وينير، في إصلاح ذات البين ويسير، فتراه يفتل في الذروة والغارب، من المحارب، حتى يعود مصاحب، وها هو في قيد حياته، لا عدماً غرائب نكاته، وظرائف مضحكاته.

ترجمة سليمان بن حمد

وممن اتخذه وكيلاً في ماله، معظماً بإضافته إلى كماله، (سليمان بن حمد)، بفتحتين كعمد، فإنه عنده كإنسان مقلته، أو كالبياض من غرته، أو الدر من محارته.

رقّ طبعا وراق منه المحيا فهو كالروض في الصباح البهيج
أخرجته على يديها المعالي فتسامى لها على التدريج

ذو فضائل ومناصب، تسمو على السيارة من الكواكب، ومراتب ومناقب، يتزاحم عندها بالمناكب، ومواهب ومكارم، تستقل عندها الخضارم، وتتفاخر بتناولها الأكف والمعاصم.

كريم متى ما جئته تبتغي الندى
ومنزله رحباً ورؤيته شفا
ومنطقه أرياً ومفرقه هدى
أيا طالباً منه الجدى وهو معسر
ألست ترى في وجهه البشر لأثحا
ترى فيه حلماً أحفنا وابن مامة
تجد وجهه بدرأً وراحته بحرا
وعزمته عضباً وهمته دهرا
ورتبته قعسا ورحبته خضرا
أمنت فلا تخشى الكآبة والعسرا
وتنظر كفيه وقد جرتا تبرا
نوالا وفي الآراء تلقى به عمرا

كيف لا وقد كان عند ذلك العلي القدر، بمنزلة القلب من الصدر،
والروح من البدن، والطلاقة من الوجه الحسن، فهو حري أن يعطر بذكره
الندي، ويتفاخر بمسامرته القطب والجدى النسبي، وينثال لندوته المملق
والغني، ويرتفع بمصاحبته المخفوض والدني.

كلما رمت من مزاياه عدأً
فقصارى الثناء أن كان بحراً
وحساماً على النوائب يسطو
ذا صباح أغر إن أبصر الضي
وفناء يخضر من سيب كفي
أكسب البصرة البهاء كبيراً
قيل لي كف إنها لن تعدأ
كلما ظن جزره جاش مدأ
غير ألا يكل قطعاً وقدا
ف أراك الرياض يظهرن وردا
ه ويبيدي للوفد حسنا ورفدا
وصغيراً أولى المفاخر نجدا

غير أن هذه الخلال البارزة فيه، والفائقة بها معاصريه، إنما هي من
خلال موليه.

إنما أحمد سحاب عطاء
ينشر الدر أحمد في يديه
ألعي من النجابة فيه
وسليمان منه كالميزاب
فيحلي بها أكف الصحاب
بهجة الروض وانصباب السحاب

قد ولد عام إحدى وسبعين، بعد المائة والألف من هجرة سيد المرسلين،
وخاتم الكرام النبيين.

ترجمة محمد بن سيف النجدي

ومن أصحابه الملازمين لبابه، الفائزين بلبابه، (محمد بن سيف
النجدي البصري)، ذو الطباع التي هي الشمول إذا تسري، ولد في نجد،
فتردى برداء المجد، ورحل مع أبيه إلى هجر، وقرأ القرآن أيام الصغر، وشغل
به آناء الليل والنهار، وعمل به رجاء الفوز في دار القرار، وعادت عليه بركته،
وتمت به خيراته ونعمته، واستحق ببركته مصاحبة الأخيار، وتقديمه في
الإيراد والإصدار، والإشارة إليه بأنامل الإكرام، وإجلاسه على فرش الإجلال
والإعظام، وانتظامه في سلك الأفاضل الأعلام، وارتقى به أعلى مرتقى، وألحق
ببركته بنسب من التقى، ولعل السبب في محبة أحمد إياه، ما يراه من إنابته
وتقواه، وصدق معاملته ووفاه، وحسن طويته وصفاه، وصحة عقود وداده،
وطهارة باطنه وفؤاده، لم يزل على أقوم سيرة، وأصفى نية وسريرة، واصلا
للأرحام، عارفا بالحلال والحرام، بعيداً عن العقود الفاسدة، قريبا إلى كل خلة
ماجدة، كريم الطبع، رحيب الربح، لا يمنع من اجتداه، وإن كان من أعداه، وما
ذكرت فيه، فمن بعض خلال أبيه.

فلا تحسبا أن الندي فيه حادث ولكنه فيه قديم وتالد
فمن قبله أعطى أبوه نواله أي بخل نجل قبله جاد والد
وهو إن كان ابن سيف، فإنه في الهيجاء أبوه، وإن كان في اللأواء خادم
الضيف، فهو مولاه على من يجفوه.

حاتمي إذا رأى الضيف لاقاه بوجه من المكارم طلق
فيه راق الحيا وأما المحيا فهو للضيف إن أتى وجه برق

وأما مفاكهته، ومعاشرته ومداعبته، فألطف من هبوب الرياح، وأرق من السقيط على شفاه الأقداح.

يغني الجليس بنطقه وبكفه مهما حكى أو جاد بالأفضال
إن يفتخر ملك بسمر عواسل فخاره بصوالح الأعمال

ولد في عام مائة وخمس وسبعين، بعد الألف من هجرة أفضل المرسلين،
وها هو في قيد الحياة، وفقه الله لما يرضاه.

ترجمة الحاج يوسف بن زهير

ومن مجالسيه الأفاضل، وموافقيه الأمثال، (الحاج يوسف بن زهير)،
المجبول على فعل الخير، السائر في أوقاته أحسن السير، ولد في بلده المنتمية
للزبير، فاشتغل بالتجارة، وأعمل فيها لجينه ونضاره، من قبل أن يخضر عذاره،
فارتفع في الخيرات مناره، وانتفع بالثروة ونفع، ولكنه إن جمع ما جمع، فما
جاءه سائلاً ومنع، وما عامل إلا وسلك الورع، لم يزل ذا عطاء جم، وعمل صالح
ما نواه إلا وتم.

فياله من كريم يعتاد نفع البرايا
لم تأتته في زمان إلا وتعطى العطايا
كم عاش بسببه من أرملة، وأثقل بنعمه متن يعمله.

قد قيل لي لما عنيت بمدحه صفه سماحاً قلت بحر زاخر
قالوا طباعاً قلت روض زاهر ولطافة قلت النسيم العاطر
وطلاقة قلت الصباح إذا بدا وشجاعة قلت الهزير الهاصر
وسيادة قلت ابن قيس أحنف وعزائماً قلت الحسام الباتر

ولما ورد أحمد إلى البصرة، ووقعت منه عليه نظرة، اتخذها لمقلته قرة،
ولجبهته مجلسه غرة، ولصدفة أنسه درة، وصار أعز ندمائه، وأجل أصحابه
ورفقائه، يحله من مجلسه الصدر، ويرفعه على كل ذي جاه وقدر، ويفاخر
من فاخره، بمزاياه الكاملة العاطرة، ويطلعها على أسرارها، ويشاوره في إيرادها
وإصدارها، حتى إنه لا يحسن أنسه، وتشرح نفسه، إلا إذا جاذبه أطراف
الكلام، وداعبه مداعبة الطل للبشام، وعاطاه أقداح المسامرة، تحت ظلال
المحاضرة، وبالجملة ففضل يوسف بن يحيى، يحيا به الفضل، وجعفر يحيا،
ولقد أجاد القول فيه، من قال بفيه.

له همة تسمو الثريا وسؤدد	يسامي علاه النسر أو هامة البدر
منازله أصبحن بهجة ناظر	ومعقل مطرود وموئل ذي فقر
تؤوب إليها الوافدون رجاء أن	تجودهم منه السحائب بالتبر
فلا عيب فيها غير فيح مجالس	إذا قستها بالبر زادت على البر
إذا أبصرت ضيفاً تكاد وجوها	تهلل من بعد عليه من البشر

فيا لها من منازل، شموستها غير أوافل، ولله من مسارح، لم تنزل لألحاظ
الشرف مطامح، مجملة صدورها بكل صدر، ضاحكة وجوها بكل ثغر.

منازل تزهيها شموس فواضل	لك الله ليست منذ تبدت أوافلا
فلا عجب أن يدرك التيه عطفها	فتصبح في ذيل الفخار روافلا
ولا عيب فيها غير أن كريمها	لذن شب حتى شاب يعطي النوافلا

كيف لا يهز أعطافها الطرب، وقد طلعت في أرجائها شموس القرب،
وحج إليها مسنتو العجم والعرب، وامتدح عامرها بالقصائد، وحبرت فيه برود
المحامد، فما هو فيها في غاية، من الفرح ونهاية.

ترجمة الشيخ إبراهيم بن جديد

وممن ارتضاه أحمد للصحبة، واصطفاه بالمحبة والقربة، واتخذه في أيامه صفياءً، ورآه بعين اعتقاده ولياً، (إبراهيم بن جديد)، الكائن من سالفة زمانه العقد الفريد، رحل إلى الشام، فلقى أجلة أعلام، وحصل علوماً جمة، وفوائد مهمة، فانثنى بعد طول الإقامة، منها إلى بلده بالسلامة، واجتاز في طريقه بغداد، ثم رحل إلى هجر، وأخذ عن عالمها وصدور، أعني به نادرة الدهر، وحسنة الأوان والعصر، (محمد بن عبدالله بن فيروز)، ونزل بعد مرجعه بلدة الزبير، فقصى بها ونشر فيها كل خير، ودرس في جامعها، حتى دعي ريجانة مجامعها، واعتقد فيه الخاص والعام، وحصل له من الملوك الإكرام التام، وما ذاك إلا لزهده، وصحة دينه وعقده، يلازم صحبة الفقراء، وينهى عن الأمراء، إلا إذا أمر جرى، ويتصدق على الضعاف، ويكرم الأضياف، مع ما هو عليه من العفاف، والديانة والإنصاف، يتعفف عن أموال اللئام، ولا يتكلف لأحد بالإكرام.

كريم متى ما جئته تطلب الجدا تجد غير فحاش ولا متعبس
شفاه لذي تقوى سقام المعتد ونور لجلال ونور لمجلس
وغاية طلاب ومقنع سائل وغنية مستجد ومنيه كيس

وبالجملة فهو غريب في عصره، نادر الوجود في عصره، كثير التنفل من الليل، قريب إلى العدل، بعيد من الميل، محمود السيرة، طاهر السريرة، ذو دمة من خوف الله غزيرة، وأيام بالأعمال منيرة، وصبر لا يوجد إلا فيه، وحلم لا يستخفه الطيش والتهيه، ولا تناظره الرواسي وتساويه.

صبور على عض الزمان ونابه حلیم علیه للمهابة مطرف
هو البحر علما غير أن طباعه أرق من الروض الشميم وألطف
إذا قرأ القرآن أقبل دمه على الخد من فرط المخافة يذرف

قد صحبته أعواما، وجالسته نهاراً وظلاماً، فألفيته محمود الصحبة،
جم الطاعة والقربة، ذا أوصاف حلت، ومزايا كملت.

ترجمة الشيخ محمد بن فيروز

وممن ناله إحسانه، وضم عليه فناؤه ومكانه، ونظرته من تعطفاته
العين، وانثال في يديه منه الذهب واللجين، ونزل عنده أعلى مكانة، وقواه على
نوائب الحق وأعانته، (محمد بن عبدالله بن فيروز)، الغني عن الذكر بالظهور
والبروز، العالم الجهبذ الكريم، الجامع أعلى خلال التعظيم.

هو المفضل الحبر الذي دونه البحر	إذا مدَّ فارحل أيها الجهل والعسر
أمين على سر النبي يصونه	وينشره في الناس إن حسن النشر
يسلسل آثار النبي وصحبه	كما سلسل الأمواه في روضه النهر
يضوع أريج الحق من نشر علمه	كما ضاع من أذيال تيهانه عطر
يروى فيروى كل ظام من الهدى	أسانيد عن دين النبي هي التبر
أقاريره تحيي العلوم وتبعث	القلوب كما أحيا الفلا الودق والقطر
أرى فيه إن يروي البخاري ومسلما	يقرر فيه أنه كعب الحبر
على فقدته من بيك من لم يلاقه	فما مثله في عصره يبرز الدهر

قد ولد في هجر، وكف له البصر، إبان الصغر، فانفتحت بصيرته،
وطابت سيرته، وحسنت في الطلب سيرته، وجد في اقتناص الفوائد، وتقييد
العلوم الأوابد، ودأب في روايته، حتى سبق في درايته، وعد من آياته، وردت له
وهو شباب، منه معضلات وصعاب، وبرز كالغزالة ليس عليها سحاب، وتصدر
وهو غلام، فيه على كل إمام، روى عن أجلة أعلام، وجبال من العلوم وهضاب،
وجهابذة ما منهم أحد إلا وهو عباب، ولاحت لهم فيه شواهد، تدل على أنه
للعلم أقوى القواعد، وأنه ستشيع له أخبار، يضيق عنها نطاق الانحصار، وتملأ
علومه الآفاق، وتقوم على أنه مجدد العصر كلمة الاتفاق.

وكم قائل هذا الغلام أظنه يطبق منه العلم واسعة الأرض
ويجري له في كل ناد ومحفل أحاديث علم صانها أبيض العرض
وإن أصبحت منشورة حبراتها مطرزة الأذيال بالطول والعرض

ترجمة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف

وممن أخذ عن هذا الجهد، وبهر حتى استحق أن يعوذ، الإمام العارف،
والناقد في التليد والطارف، (عبدالله بن محمد بن عبداللطيف)، الآية في
التصحيح والتحسين والتضعيف، أخذ عنه المعاني والبيان، والمصطلح وغير
ذلك من العلوم الحسان، الذي يضيق عن عدها نطاق الإمكان.

ترجمة الشيخ محمد بن عفالق

والعالم الرباني، المفرد في علمه عن الثاني، المقر له في الفضل القاصي
والداني، (محمد بن عبدالرحمن بن عفالق)، سقى سراه من الرحم كل غادق،
وخلق من أعلام بلده، كالفاضل الكامل والده، ولما برز في بلاده، على نظرائه
وأنداده، تآقت نفسه إلى النقلة، فاغترب غارب الرحلة، إلى الأقطار الشاسعة،
لتحصيل العلوم النافعة، وحياسة الفضائل الساطعة، والخلال الباهرة الرائعة،
فدخل الحرمين، فقرت له العين، وانشرح صدره، وانتقد بالذكاء فكره، بروايته
عن علمائهما، وتردده في محاسن آثارهما، واصطبأحه بمصاييحهما النيرة،
واستظلله تحت شجراتهما المثمرة، واقتطافه من نور أورادهما المزهرة،
وانتشاقه من أنفاسهما العطرة، واغترافه من بحارهما الزاخرة، وتسريح
طرفه في رياضهما الناضرة، وإفاضته في رباعهما الشريفة، واكتسائه من
فضول مكارمهما اللطيفة.

ترجمة الشيخ أبو الحسن السندي

وممن استصبح بنبراسه، واقتبس من نور مقباسه، من علماء طيبة النبوية، ذو العلوم السنية، والنفوس المطمئنة المرضية، أبو الحسن السندي الحنفي، أفاض الله عليه سجال بره الحفي، إجازة وسماعا لبعض العلوم، من منشور ومنظوم، وحصلت له عند أبي الحسن رتبة عالية، وتعطفات لا تزال جارية، حتى إنه قبّل يديه، وأخذ عنه بعد قراءته عليه، وغيره من أعلامها، واستجازه الجم من مدرسيها وحكامها، حتى دعي بإمامها، وقيل: ألا لا يصدر شيء من أحكامها، إلا من جهته، ولا يعتمد على راو إلا بتوثقته، وأشير إليه فيها بالأصابع، واجتمع عليه للإقراء ما اجتمع على مالك ونافع.

أتاها فأحيا بالرواية مالكا ورد فأحيا بالقراءة نافعا
وكم من فقير جاءه يبتغي عطا فنال رياحا بعدما كان خاضعا

وأما مكة فإنه استتار بأقمارها، واقتطف من أورادها وأزهارها، فأخذ فيها عن علمائهم، هم كواكب سمائهم، فاستجاز فيها زواجر، وبدورا للمعارف سوافر، وعيونا هي لأجفان الفضل نواظر، اشتهر فيها صيته وارتفع، وأسفر في أفقها فجره ولمع، وأقرت بفضل أركانها، وكان يحيي به خالدها وسفیانها.

أغرتميمي كأن جبينه إذا سرد الإسناد قادمة الفجر
تردى رداء العلم والزهد يافعا وزاحم سيار الكواكب بالصدر
فلا فضل إلا وهو عنه مسلسل ولا بذل إلا وهو من كفه يجري
له غرر مشهورة وفضائل مكملة تزهبها جبهة الدهر
فيا علمه لا ترض بحرا مناظرا ويا مجده فاشمخ إلى قنة النسر
ويا عصره فافخر به إن فخره بدا في ليال كلها ليلة القدر
ويا بلدا ما زال إنسان طرفه تسام فقد أصبحت منزلة البدر
ويا كتبه إن كنت للعلم أبحرا ولا شك في هذا فسيلي على البر

ولما ضاع في أرجائها عطر ذكاه، وضاء في آفاقها من علمه ذكاه، انصرف منها إلى أوطانه، وأحبته القدماء من إخوانه، فاستقر في وطنه، مباركا في رزقه وزمنه، مفرغا وسعة في إغناء عائل، وإرشاد ضال، وتعليم جاهل، يصدع بالحق ولا يخاف عدل عادل، ويثابر على قيام الليل، مثابرته على البذل والنيل.

كريم إذا استمطرت مزنة كفه جرت بعميم البذل عشرة أبحر
ولكنها لم تشبه المزن إذ جرى بماء ومدت من نداء بجوهر

قد حصلت له رياسة عامة، وسيادة على الخاصة والعامة، فصارت تصدر عن آرائه أحكام، لا يعارضها لاستقامتها الحكام، إن كان يعطي ويجزل، فما زال يولي ويعزل، ويرفع وينزل، مع ما هو عليه من التواضع للفقراء، وعدم المداراة للكبراء، هذا وأما من تخرج عليه، وامتدت بكرة علمه إليه، فجم غير محصور، وعدد لا يحيط به نطاق سطور، مع أن أغلبهم من أخذ هو عنهم، وطلعت شمسهم منهم، وإذا كان لا يحويه نطاق دفتر، ولا يناظرهم كواكب إلا كانوا أكثر وأظهر، مع أنا ذكرنا منهم ما تيسر، فلنصرف عنان الكلام، عجزا عن ذكر تلك الأفضال الجسام، وإعلاما أنها تحوج إلى أسفار، وتخرج بنا من الاختصار إلى الإكثار، ومع أنني قد ذكرت منهم في تاريخي الفرر، في وجوه القرنين الثاني عشر والثالث عشر، جملة تدل على غزارة علم، ووافر بذل وراسخ حلم.

ثم ما زال في أقطاره، يروي العلم في رواحه وإبكاره، شاكرا لله على الإنعام، معظما في صدور الخاص والعام، تعطر المجالس بذكره، ويتحلى المجالس بهمام يده وفكره، حتى تنقلت به الأيام، ونقلت منه الأقدام، عن وطنه الأول، وزلزلته عنه حتى تحول، من فتنة كم زلزلت من ملك قواعد، وأيقظت من نائم وأقامت من قاعد، فنجا من شرها، ولم ينله شيء من شررها، فقدم الزيارة على أحمد، فأكرمه إكراما مثله لم يعهد، فإنه أجرى عليه بعطيات،

ما هي إلاحاتميات، وإن كانت أحمديات، وأقام عنده، مستردفا رفته، إلى أن نقلته الأقدار، عن هاتيك الديار، فألقى عصا الارتحال، وحل رحل السير والانتقال، في البصرة الرعنا، والبلدة التي لم تزل حسنا، فتولى تدريس السليمانية، وانتهت إليه فيها الرياسة العلمية، وراسله وزير بغداد، وزاد ذكره حتى ملأ اليفاع والوهاد، وعظمت مودته في الصدور، ونفدت كلمته في الروؤس والصدور، وفي خلال هاتيك الأيام الحسان، والليالي التي أسفرت منه ببدور الإحسان، حصل لي اتصال بذلك الجنب، وقرأت ما قدر من كتاب، فهو من أجل مشايخي الأعلام، وأعظم أساتيدي الفخام، هذا وأما كرامته لا شك فيها، إلا من كان جاهلا أو سفيها، ومن كرامته الظاهرة، وخوارقه الباهرة، أن طعامه يزيد في حفظ الطالب، كما صح ذلك في التجارب.

ترجمة الشيخ عبدالوهاب بن محمد بن فيروز

وممن أخذ عن هذا الحبر الجليل، وروى عن علومه أعذب سلسبيل، ولده عبدالوهاب، المعدود من جملة ما لأحمد من الأصحاب، بلغ مع صغر سنه، من العلم غاية فنه، ونقاية دنه، ورحل إلى البصرة، وحصل له فيها أتم الشهرة، وولاه ثويني بن عبدالله زمام أحكامها، وعرى حلها وإبرامها، حين تولى عليها، ونزع سوار ملك حاكمها من يديها، حقق كأبيه وألف، ودقق غوامض البحوث ورصف، وصدع بالحق وما راعى وما توقف، وانعزل بعدما حق على ثويني الانعزال، ووهت قواعد سلطانه وزال، وقدم هجر، فمات بعد أشهر، من قدومه المصر، سنة (١٢٠٠هـ).

وأما أبوه المقدم، فإنه أتاه أجله المحتم، عام ستة عشر بعد المائتين والألف من الهجرة، ودفن في مقبرة الزبير، قريبا من تربة طلحة الخير، سقى الله قبره من الرضا هطال، وحشره في زمرة النبي والصحب والآل، وأما ولادته، الظاهرة فيها سيادته، فإنها عام الستة وأربعين ومائة وألف، من هجرة

أفضل من قدر وعف، وأسري به حتى انتهى، إلى سدرة المنتهى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وبالإكرام تتم.

تراجم آل عبدالرزاق

وأما (آل عبدالرزاق)، الفائقون بمكارم الأخلاق، فهم إبراهيم وأبناؤه، عبدالوهاب، وسالم الكريم المثاب، وهم من أجلاء أصحاب أحمد، وأعز أخلائه وأنبل وأجود، ثلاثة هم في سماء المناصب، شمس أبناؤها كواكب، وأقطاب مكارم، أكفها للناس غمائم، وأسود ضراغم، آجامها من الشرف معاصم، وأفنان سيادة، تميمس بها نسائم النجادة، ورياض شرف، أورادها الظرف، وصحف كمال، سطورها آمال، وشجرات أفضال، ثمراتها كرائم الأموال، وزهرات إقبال، تحيا بودق صالح الأعمال، وغرر أعياد، تزهو في وجوه الإسعاد، وبحور زواجر، ليس لها إلا الأكف مواجر، وسيوف نواب لم تغمد، وأنوف مناقب وسؤدد، لم تشم إلا أنفاس الشيم، ولم تشمخ إلا إلى معالي الهمم، ورعان رزانة، وبدور رياسة ومكانة، وصدور لم تألف إلا الصدور، ورؤوس أبت إلا الارتفاع والظهور، وعيون لم تر إلا جارية، ونجوم فضائل لا تنفك سارية، ومقل عوارف، لم تزل ذوارف، وأركان عواطف، كل بها طائف.

أكفهم سحب العفاة وإن تكن
مطاعم في الأوامطاعين في الوغى
إذا ما بدت أسيافهم ووجوههم
ولا عيب فيهم غير بيض مكارم
وغر أياد في وجود زمانهم
غطارف أخيار إذا ما تعصبوا
صوارمهم تضري العدو جوازما
وأرماحهم تضري العدو لهاذماً
وجوهم يوم الهياج كواكبا
مضاريب في البيض الخفاف المضاربا
دجى الليل لم يبقين منه غياها
وأقمار آراء أزحن النوائبا
طلعن شمساً ما طلبن مغاربا
أناطوا المعالي في الرؤوس عصائبا
وإن كن في رفع الفخار نواصبا
ترى فوقها سم المنية ذائباً

لهم همم لا تنتهي وعزائم
فما تركوا من غاية لمفاخر
وما فخروا إلا بكل قلمس
من النضر القوم الذين سيوفهم
وقد نظموا بالسمر كل مطاعن
ومن صدّرتهم في الأنام صوارم
ليهنهم مجد تليد وسؤدد
وجاه عريض لا يؤد ومنصب
فيا لهم أقمار تم تالّأت

حكيم بقطع العضلات القواضبا
وإن يك قيساً في الفخار وحاجبا
إذا ضنت الأنواء جاد مواهبا
أقامت على الباغي عليهم نوادبا
وقد نثروا بالمصلتات الكتائببا
أبت من رؤوس الأسد إلا الذوائبا
عريق وعزيتك الذل جانبا
به زاحموا بدر الدجى والكواكبا
وما كانت الأفلاك إلا المناصببا

ترجمة الشيخ إبراهيم آل عبدالرزاق

(فأما إبراهيم)، فإن الزمان بمثله عقيم، مذ برز ألف العبادة، قبل خلع تمائم الولادة، وتطلع للسيادة، حتى ألفت إليه بالمقادة، وولع بالمكارم، قبل فصل الفواطم، وحفظ القرآن، مع الضبط التام والإتقان، وقام بواجب حقه، ولم يلهه عن طلب رزقه، وولع بأدائه، حتى شغله عن أبنائه، لم يزل ذا دمعة سكابة، ورهبة عند قراءته وإنابة، وكان مع هذا الحال، حصل له حظ وافر من المال، فأكثر صدقاته، على أهله وقرباته، وصار يتفقد بنوالة الفقراء، لاسيما إذا الليل سرى، ومن مناقبه، التي لا توجد في أصحابه، أنه كلما مر عيد، كسا جيرانه الأحرار والعبيد، وكل منتسب إلى علم، وكل شريف وخلم.

فلم أر في الإعطاء مشبه أحمد
ولكن ذا غيث عميم لمجد
ومن مثل إبراهيم وهو إذا انتمى
على أنه من غرقوم أكارم
وما فيهم إلا كريم أكفه

ولا مثل إبراهيم إن بخل القطر
وذاك هو البحر الذي مدّه الدر
لأحمد من عمت فواضله الصهر
إلى منتماهم ينتمي المجد والفخر
إذا اجتديت مدًا بها سحب عشر

وبالجملة فإبراهيم، حق له الإكرام والتعظيم، لما جبل عليه من طباع هي النسيم، ومفاخر هي العقد النظيم، ومكارم هي الروض الوسيم، ولطائف هي في الرقة تسنيم، وكان من أصحاب أبي أحمد من الصغر، إلى أن دعاهما داعي الهرم والكبر، ومات أبو أحمد قبله، فبكاه وصحب بعده نجله، لما لم ير في النجاة مثله، وأقام في الزيارة، يشكر الواردون إirاده وإصداره، إلى أن دعاه حمامه، وحم من أجله ثمامه.

(وأما عبدالوهاب وسالم)، فإنهما بدرا سيادة وبحرا مكارم، اتصلا بأحمد ونسبته، اتصال الزهر بوردته، فنالا باتصالهما به أشرف نسبة، ومن وثيق تلك الصحبة، أعلى منصب وأجل رتبة، سارا سيرة والدهما، فبورك لهما، في طارفهما وتالدهما، وعودا أكفهما البذل، حتى حمدهما اليافع والكهل، وضارعهما المطر بالوبل، وصار منزلهما كعبة أمل، ومنية عاقل وفاضل، ومعقل هارب وأجل، وبهجة ناظر، وهداية حائر، وكوكب ساري، وخضارم كل جاري.

أيما منزلا ما زال تألفه العلا	وتصدر عنه للعفاة المكارم
نعمت صباحا أيها المنزل الذي	بناك بأيدي الفضل والمجد سالم
وساعده فيه أبوه وعمه	وإخوته والكل غر عيالم
بنوا سؤددا لا يبرح الدهر شامخا	إذا ريم هدماً أمسكته الدعائم
بنون وإخوان كرام كمالهم	سوار له بيض المعالي معاصم

ترجمة الشيخ عبدالوهاب آل عبدالرزاق

وبالجملة فهذان الأخوان، نادرتان في هذا الزمان، فأما عبدالوهاب، فهو من ذوي الألباب، الوالجين إلى التقى من كل باب، يقوم الليل بالتلاوة، ويمزج منه النيل باللطف والحلاوة، ذو معرفة بالجواهر وقيمتها، وبحساب منتزها ومنتظمها.

ترجمة الشيخ سالم آل عبدالرزاق

وأما سالم فهو ذو رياسة، ونجابة ونباهة وسياسة، ورفعة وحس وفراسة، وها هما في قيد الحياة رافلين، وبأوصاف السعادة كاملين.

هذا ولما ذكرت ما لأحمد من المفاخر، مع الاعتراف بأن لسان الحصر عنها قاصر، وأن ذكرها على التفصيل لا يحيط بها نطاق الدفاتر، ولا يتخيله فكر، ولا يتوهمه خاطر، وحبرت تراجم بعض أصحابه، وملازمي رحابه وأبوابه، آسيا بمحض النظم ولبابه، ثانيا على التكليف العنان، متحريرا من الألفاظ ما تعشقه الأذهان، قبل سماع الأذان، طاويا كشح المقال عن الغرابة والتقييد، مائلا عن التكرار والترديد.

مرات في الشيخ أحمد بن رزق

أحبت أن أذيله بمراثي، تذيب أدمع الوارث والراثي، وتجعل في لبات القصائد، عقودا أو قلائد، ويتفاخر بسماعها الأسماع، وتذوب عليها من الرقة الطباع، ويتدارسها في المشاهد، القائم والمضطجع والقاعد، وتتباهى بكتابها الطروس، وتتسلى بها عن منادمة العروس، وتتغابن في حفظها الأفكار، ويفضل الليل إذا تليت فيه على النهار، لما اشتملت عليه من جودة السبك، وحسن التطريز وإحكام الحبك، وانسجام المباني، وائتلاف المعاني، وذلك أنه لما تسامى قدره، وطار في الأفاق ذكره، وراق بمفاخره عصره، وألقت إليه بالزمام العليا، وأطاعته بالتمام الدنيا، وكادت تضيق بماله الأرض، ويطلق بنواله منها الطول والعرض، دعاه داعي الحمام، وأذنه بأن ليس بعد التمام، إلا النقص، وما بعد الائتام، إلا الصدع، وما بعد الانتظام، إلا النثر لقلادة الحياة بهذا الحسام، ففارقته جثمانه روحه، وغابت من أنسه بوحه، وهدم بيت المكارم، وشيد خباء المآتم، ونظمت فيه المراثي، وكثر الناعي والراثي، وشقت جيوب المفاخر، ودقت

صدر المآثر، وعز الجلد، وفني الصبر ونفد، فلم أر بدأً من إنشاد قصائد،
هي في سؤالف المراثي قلائد، قضاء لبعض مآثره التالدة، ومفاخره التي لا
تزال خالدة.

جدير لعمر الله أن ينضب البحر
وأن تبرز الحسناء تندب حاسراً
وأن تسقط الزهر الطوالع في الثرى
وأن تنهض الغبراء أبناء بطنها
وأن تقعد الأشراف في مآتم الندى
وتنفذ أمواه الجفون تلهفا
ويخلع ثوب الصبر عن كل صابر
وليس يسوغ الصبر في رزء سيد
بكته المعالي فهي محروقة الحشا
فإن جناح المجد هيض بموته
تولى فأولى كل قلب مصابه
وقد فقئت عين الكمال برزئه
به أنضت سود الليالي سهامها
وكم لليالي من صريع مجندل
فكم من عظيم القدر أصمت نبالتها
وكم من شديد الأسر أوثق أسرها
هي الفرس الشقراء لم يعد شرها
فأخفت على كسرى وأودت بقيصر
وأردت بجساس كليبا وما حمى
وقدت بأشقاها عليا وغادرت
ودارت على الزيا بكيد قصيرها

ويكسف قرن الشمس أو يخسف البدر
فتلطم خدأ شأنه الحسن والستر
فقد خر من لا شأنه عن علاً خسر
لينزل منها الصدر من حقه الصدر
تنوح وقد مات الندى وانقضى الفخر
كما أنضت بالموت أيامه الغر
ففي رزء هذا القرم لا يلبس الصبر
عليه عيون المجد أدمعها حمر
وفي يدها كسر وفي قلبها فطر
فما من جناح قط إلا به كسر
صدوع أسى من مسها يفطر الصخر
ففي نجلها قرح وفي جفنها شتر
فخانته والأيام من شأنها الغدر
وقدماً له الشطران منها أو الشطر
فما ردّ عنه حتفه ذلك القدر
فأودى ولم يمنعه من أسرها الأسر
مواطنٍ رجليها ولو أنها المهر
ولم يمنع النعمان من فتكها القصر
حذيفة من أسيافها ذلك النهر
حسينا بيوم الطف يصرعه شمر
وما رد منها السهم عن نحره عمرو

وكم لبني مروان بأسا وسطوة
وخانت أخوا الخضر الكثير نماؤه
وأسقت بنى العباس كأساً مريرة
وضرست الأملاك من آل تبع
وما خلصت ساسان من مخلب الذرى
وإن مصيبات الزمان لجمة
مصيبة من أودى فكفن بالندى
فتى أريحي الطبع أيسر رفده
رشيد ومأمون أمين وواثق
ومقتدر بالله في كل حادث
فويح المنايا كيف مدت يداً إلى
وهمته تسمو الثريا وباعه
قضى ما قضى حتى إذا يومه انقضى
عجبت لفتيان تولوا بنعشه
فيا حاملي أعواده إن قبره
دفنتم فتى لم يحصر العد بعض ما
وأخفيتم شمس العوارف في الثرى
فلا غرو أن الكون أظلم وجهه
هنيئاً لقبر ضم أعضاء جسمه
ليبك عليه كل ضاؤٍ ومقتر
ويبك عليه كل سار تطوحت
ويبك عليه الوفد أم فناؤه
ويبك عليه كل ناد ومحفل
ويبك عليه كل مهر ومهرة

نعم تضحك الكوم الهجان لموته
ويبك عليه النظم والنثر إنما
أيا شعراء العصر لا درّ دركم
فلو أن مروانا رأى سيب جوده
ولو أن بكرأ شاهدت منه ما جرى
به جدعت أيدي المنايا يد الندى
فويح المعالي كيف يرفأ دمعها
وويح وجوه المجد كيف ابتسامها
ولو لا التآسي كنت أقضي من الأسي
فيا أحمد الخيرات أصبحت في الثرى
ويا طالما أطلقت من أسرفاقة
ويا طالما أطلقت بالبذل راحة
وكم فتحت يمينك باب مكارم
لئن مت ما ماتت مآثرك التي
فكم لك من نجل شرفنا بمجده
عرانين فضل للكمال معاطس
بهاليل كالبيض المواضي عزائمها
وإن فروعاً أنت قاعدة لها
محمدهم للفضل والحسن يوسف
فيا وارثي أمواله إن ماله
فلا تقصروه عن مكارم كفه
ولا تسمعوا للقال والقييل فيكم
ولا تكسروا يوماً عصا ذات بينكم
وكسر عصا القربى أشد غضاضة

فقد علمت أن ليس عقر ولا نحر
على مثله يستعذب النظم والنثر
تعالوا لنرثي من مواهبه التبر
لما صدحت معنا أعاريضه الغر
لما افتخرت في معناها أبداً بكر
فلا كرم يرجى ولا يرتجى ذخر
وها هي مذريعت به أبداً بتر
ولا وجه إلا بالكآبة مغبر
وكيف يطيق الصبر من لا له صبر
رهينا ولا بيض لديك ولا صفر
أخا عيلة أيديه مغلولة صفر
إذا أطلقت في عسرة ذهب العسر
وكم فاض من يسراك في كرم نهر
بها يقتدي في الجود أبناؤك الغر
بها كهلال العيد قد شرف الشهر
وليس لهم إلا الندى والثنا عطر
إذا ما دها خطب وحوار به فكر
لأغصان آمال ذوائبها خضر
ومحسنهم في الناس خالد البر
عن البذل والإعطاء ليس له صبر
فيدرك مدود الندى بعده القصر
فبالقييل فيما بينكم يحدث الشر
فكسر عصا الأصحاب ليس له جبر
وأجدر أن يلحى به العظم والهبر

فلا تعقدوا أمراً ولا رأس فيكم
ولا تهدموا مجداً بناه أبوكم
إذا لم تكونوا في الشباب أكارماً
وأيديكم ملأى وأيامكم رضى
فما أنتم بالكائنين ذوي ندى
فلا تحسبوا أن المعالي ملابس
ولكنها شمّ الذرى مشمخرة
ودونكم مني مراثي جمّة
وليس ببدع أن فكري ناظم
وقد جاء تاريخاً لعام وفاته

متى كانت الفوضى فقد فسد الأمر
وشيده حتى بنى المآتم القبر
وجاهكم واف ومالككم وفر
وأخلاقكم بيض وأوجهكم غرّ
إذا لاح فجر الشيب وانتقض العمر
مضوّفة بالطرز مصبوغة حمر
فمسلكتها إلا على مثلكم وعر
ولكنها في فضل والدكم نزر
وخدي لها طرس ودمعي لها حبر
لأحمد جنات لها حسن البشر

(١٢٢٤ هـ)

ولما أطربت المسامع، وعطرت الرحائب والمجامع، وحركت ببلاغتها
الطبائع، وشأت في مضممار البيان طلائع، وجرت برد فصحاتها فخرا، على كل
خريدة وعذرا، وأعقبها بفريدة أخرى، تكاد تكتب في الخدود سطرًا.

إن مات أحمد لم تمت
قد سنّ من طرق الندى
فشأى البرامكة الكرا
ولقد قضى فقضى الندى
جدعت به الأيام عر
وتضعضعت أركانها
رزء كسا الأفاق أسد
وألان كل شراصة
وطوى المسيرة والهنا

منه المآثر والمكارم
ما لا لمعن أو لحاتم
م مكارماً وهم الخضارم
ويكى الأرامل والأيائهم
نين العلا ويد المراحم
وتواضعت منه الدعائم
ود فاحم كليل قاتم
وأذاب للصيد الشكائم
وأحال ينشر للمآتم

فالفضل صوح نبتة
والفخر مهدوم البنا
والسعد أصبح طيره
دفنوا نداداه بشبره
فمصابه حل العرى
وسطا علينا قاصما
من للنساء المعولا
ومن الذي ترجى المدا
ومن الذي يرجى إذا
ومن الذي يدعى لحل ال
إن النساء الحاملا
يادهر غيرت الوجوه
ولطمت وجهها لم يزل
وأصبتنا بمصيبة
وكويت أفئدة الورى
وكسرت جمع الفضل حتى
وصعدت أبينة العلا
وطويت أثواب الهنا
وقطعت عرق المكرما
وكسفت شمس سمائها
غيبت في بطن الثرى
إن رام يحكيه العبا
فالبحريوليك الأجاج
والبحريعطي هائجا

وتقشعت منه الغمائم
والمجد مظموس المعالم
مقصوص أطراف القوادم
ولكم به شمل العوالم
وعن الورى ألقى العمائم
صلب المروة بالمناصم
ت المهملات وكل غارم
ئح نحوه من كل ناظم
اغبرت من الأفق المباسم
مشكلات من القواصم
ت بمثله أبداً عقائم
فلا ضواحك أو بواسم
للشروالآفات لاظم
أوهت من الدين الدعائم
بمباسم الموت الطلاخم
لا يرى للفضل سالم
وبنيت أبنيه المآتم
ونشرت أكمام اللواظم
ت بصارم للموت هادم
فالكون بالإظلام واجم
بحر الندى الغمر الخضارم
ب فإنه في ذاك زاعم
ومده محض الدراهم
وبزجرها تهب الغمائم

ويمينه سحاً وفج
يا دهر مزقت القلوب
وهدمت ركننا باذخا
وقطعت وردة روحه
وأغبت برق سرورنا
وبنيت في أحشائنا
ونصبت أسباب الردى
أنشبت فيه صارما
للولاه عن قدر جرى
لكن جرى القدر المتأ
لو دام إنسان لدا
فالصبر أولى إن دهى
صبرا بنيه فإنما
مامات من أنتم له
فسلوا الصحف المترعا
وسلوا الصحف المصلتا
وسلوا الضيوف فإنهم
وسلوا القوافي والأعما
هل كان غير جنابه
فسقى ثرى فيه يرى
وسقى الرضا جدثاله
إني لأبيكه دماً
فاقضوا بنيه مكارما
من لم يكن كأبيه في

ر صباحه طلق المباسم
فكلها فيه شبارم
وسطوت بالأسد الضبارم
بمخالب الأسد القشاعم
ولكم سرى تحت المكارم
أظما من الأحزان قائم
لتصيد أكرم من يكارم
ولكم عدا للشر صارم
لرددت عنه ولم تقاوم
ح فمن ترى من بعد دائم
م مشرف للرسائل خاتم
خطب بحالة كل حازم
صبر الفتى عند العظام
خلف ومن أبقى المكارم
ت فإنها تدري الأكارم
ت للشلاقم والصلادم
لاقوا به معناً وحاتم
ريض الصعاب وكل ناظم
يرجى ويمدح بالمناظم
صوب المبرة والمراحم
فيه الندى جار وساجم
وأرى بأنى غير قائم
سحت بها منه غمائم
فضل يعرض على الأباهم

فالجود فيكم خالد
واسقوه من أيديكم
ودعوا الخصام فإنه
وذروا لئاماً همهم
عي سوى عن غيبة
ومن الغباوة والعنا
فابقوا جليسا صالحا
إما كأحنف حلمه
هاؤم نصيحة ناصح
يبكي أباكم طرفه
وخذوا مراثيه فيها

فأذروه مركز الدعائم
ليدوم مفتر الكمائم
لأثر الأباء هادم
نقل البطون إلى الولائم
أو نشر مطوي النمائ
تقريبكم من لا يلائم
مغرى بصحبة كل حازم
أو خاله قيس بن عاصم
ما غش في النصح المخاصم
كالساجعات من الحمائم
هي للمراثي كالتمائم

ولما فوفت بردها، ونظمت في سائفة البيان عقدها، وأطلعت من كمائم
الرثاء وردها، وارثفت المسامع رضاها، وتجلببت الطروس جلبابها، اقتضى
الحال، أن أنشد على الارتجال.

وقائلة قد مات أحمد ذو العلا
أقول لها كفي لئن مات لم تمت
وبيض غطاريف كأن وجوههم
بنوه الأولى أضحى بهم ناظر الندى
من النفر الأسد الذين عزومهم
موارد فضل غير أن أكفهم
مقاول أقيال فلا غرو أن زهت
كأن المعالي قد خلقن خواتما
فما تركوا فخراً طريفاً وتالداً
وما افتخروا إلا بكل متوج

ومات الندى من بعده والمفاخر
مآثره اللاتي بها القول سائر
بدور إذا جن الظلام سوافر
كحيلا له من مجديهم ونوادر
كأسيافهم في المشكلات بواتر
لكل جميل في الأنعام مصادر
منابر في أيامهم ومحاضر
لها منهم في كل عصر خناصر
لمفتخر إن جاء يوماً يفاخر
نماه إلى المجد المؤثل عامر

فما شئت فيهم من ثناء فقل بهم
يقولون أسد في الهياج كواسر
أما علموهم أبحرا في رحابهم
يطيلون أرواق الجياد وإنما
فضائلهم لم ينتهين فقل لمن
يروق بهم وجه الزمان طلاقة
فطاول بهم من شئت مجداً وسؤدداً
على كل فضل في الأنام أدلة
فلا عيب إلا محتد وسيادة
فعما بهم مدحا تضيق الدفاتر
إذا لم يكن إلا السيوف نواصر
نمتهم إلى البذل العميم زواجر
جيادهم أرواقهن الخواطر
يكاثرهم في الفضل أين المكائر
ويغدو بهم وجه الدنا وهو سافر
فكل طويل عنهم فهو قاصر
وفضلهم فيه النصوص ظواهر
يزينهما بين الأنام المآثر

تراجم أبناء الشيخ أحمد بن رزق

فلنعد بعد الإنشاد، إلى (إنشاء تراجم الأولاد)، فنقول: لما غربت في
رسمه، محاسن شمسه، ورثه خمسة بدور، أشرقت بهم وجوه الصدور، قد
غذتهم المروة بلبانها، وقلدتهم بلآليها وجمانها، وفتحت بهم أورادها، وحضنتهم
إذ كانوا أولادها، واعتنقوا ولادها، ولفقوا فرائدها، وزينوا مقاعدها، وسهلوا
لطالبها مصاعدها، وحلوا منها المقاعد، وقربوا منها المقاصد، وأعادوا شبابها،
وشادوا بعد الهدم قبابها، وأمطروا سحابها، في الحضيض واليقاع، وخاضوا
عبابها، بسفن مكارم شراعها الطباع، وأحرزوا قصبها، ورفعوا حسبها، وعمروا
منها الديار، وحسنوا منها الآثار، وتسمنوا منها السنم، وفتقوا منها الكمام،
وأهبوا منها الأرواح، وأعادوا منها الأرواح إلى الأشباح، وأفجروا منها الصباح،
وأجروا منها الحياض، ووردوا منها الرياض، وشرحوا صدورها، وأشعوا
بدورها، ودبج في ثنائهم المنظور والمنثور، حتى غدا كل ممدود من المدح عليهم
مقصور.

مضريون عامريون حازوا
أرضعتهم لبانها فرعوها
ووجوه إذا رأت وجه ضيف
كل يوم لم يلقهم فيه ضيف
بعزوم كأنهن بروق
لا يحن العلا إلى من سواهم
أبرزوا المجد في خباه وأبدوا
ويدوا في الورى شמוש جلال

ولقد أجاد فيهم القائل:

كل امرئ لاقيته منهم
محمد يوسفهم محسن
وختمهم عبدالعزیز الذي
تقول فيه إنه المطلب
وخالد ذو الشرف الأطيب
عن فضله كل فتى معرب

وها أنا أسرد تراجمهم على هذا الترتيب، ذاكرة ما اطلعت عليه من
أحوالهم على التقريب، جاعلا ذلك خاتمة هذا الكتاب، مطرزا للنثر بالنظم
المستطاب.

ترجمة الشيخ محمد بن رزق

فأما محمد فأصلبهم على الإعباء متنا، ذو عزم يضاها مضاء الحسام،
وحزم لا يوجد في سواه من الأنام، وحلم أرزن من الهضاب، وكرم كم مد له من
عباب.

هو الفاضل القرم الذي في ثنائه
مع الكرم الفياض حاز لطافه
يروق ويحلو مني النثر والنظم
ورقة طبع زانها الصمت والحلم

له الشرف المشهور والمنصب الذي
أغرّ عقيلي كأن جبينه
مساعيه بيض في الأنام يزينها
ولو أنها غرب بكل مهني
إذا ارتعش المتنان منه تراعشت
وإن فتى ينميه أحمد للعللا
لقد مات من بعد البرامكة الندي
فأحياه بالإعطا أبوه وجده
تقاعس فيه عن منازل النجم
إذا ما رأى وفاده القمر التّم
وقائعه اللاتي كأفراسه دهم
له عمل في ضده هو الجزم
يدا كل ضرغام وأدركه الحزم
لخير فتى ينمو به الكرم الجم
ولم يبق منه بعد موتهم رسم
ولما بدا ما زال في عصره ينمو

ولد في بلد والده الزبارة، في أيام هي الرياض بالنضارة، وليال ما
أنورها، وأسعدها وأقصرها .

لما بدا نور محياه بها
ولم يكن من فتن ما انثنى
قد أرضعته الدربكر العلا
لم يبق وجه ما علاه الضرح
وطائر في دوحه ما صدح
وعودت يمناه بذل المنح

إن برز بروز الغزالة، فله الرياسة هالة، والكمال مدار، والأفضال أنوار،
والجلال مطلع، والنبالة مسطح، فهو الواحد في المعالي، والبدر لما وجد فيه من
الليالي .

حسن الطبع كأنما
كالغصن يبصر عطفه
أخلاقه الأرواح
إن هزه المذاح

مكارم أخلاقه، أوضح دليل على طيب أعراقه، وتبسمه في وجوه الوفاة،
أمانة على شرف الأجداد، ورحب فنائه، دال على سعة عطائه .

لئن أصبحت منه المنازل رحبة لأوسع منها للوفود مكارمه
يضيق الفضاء عن بعض ما هو مفضل ولم تغي عنه كفه ومعاصمه

فهو قطب تدور عليه رحى الفاخر، وترنو إليه من المعالي النواظر،
وفلك شرف لم يزل بالمكارم دائر، وروض مجد بالنجابة زاهر.

فلا غرو أن تزهو بساطع فضله محاضر فيح عطرتها الفواضل
وغر قواف جاذبته زمامها مصاقع غرب ساعدتها الفواضل
يقيمون معوج القوافي كأنها إذا ثقفوها في يديهم ذلائل
يكاد إذا قالوا مقالاً بمشهد تعي عنهم ذاك المقال الجنادل
إذا قوّموا شعراً فصي مدح جده ومدح أبيه ذلك الشعر كامل

إن فخر به زمانه، وأقر له بالفضل أقرانه، فقد رام كيوان، أن يساميه
في علو المكان، فرد عن مضاهاته خجلان.

لا يرى في علاه عيب سوى أن كان ذا سوؤدد وذا المعيه
أغزر البذل أظهر الفضل حتى حلف الدهر ما رأيت سمييه
همم تعجز الزمان احتمالاً وأياد مهما جرت حاتميه

فلما توفى أبوه، وحف به راثوه، صبر وجانب الضجر، وشمر عن ساعد
الجد وحسر، وقام مقام والده، ودرج على مدارجه ومقاصده، وأعطى كل وارد،
ما له من صلة وعائد، حتى عرف فضله المسود والسائد، ونوه بذكره الغائب
والشاهد، ونظمت فيه المدائح والقصائد.

ثوى الكرم الثجاج في قبر أحمد فأبرزه من قبره بعده النجل
محمد القرم الذي أقسم الندى بأن لا له في عصره أبداً مثل
تعوّد بذل المال حتى كأنما تراضع معه مرضعاً ذلك البذل

قد فوض إخوانه إليه من أمرهم الزمام، وداروا به دوران الكواكب
ببدر الظلام، ونظروا إليه بأعين إجلال واحترام، واتخذوه في محراب المهمات
إماما، ولنوائب الزمان عدة وحساما، ولأعين المفاخر إنسانا، ولعالية المآثر
سنانا، ولسهام أسرارهم كنانة، ولمعاطس آرائهم ريحانة، وافتخروا بوجوده،
افتخاره بأبيه وجدوده، وطاوعوه مطاوعة يده، لا مطاوعة عبده، ونزلوا عنده
منزلة عينه، لا منزلة نضاره ولجينه، ونهض بأعباء والده، فأقر عين موده، ووفقاً
عين حاسده، وأعمل الهمم، في اتباع ما لأبيه من الكرم.

يا لمولى أبدى مكارم شتى بعدما مات ذو السماح أبوه
كل جود إلى أبيه تناهى فله الخلق كلهم نسبوه

لا بدع أن صار من المكارم عينها الباصرة، ومن المفاخر روضتها الزاهرة،
ومن الشيم أرجها الشميم، ومن الأيام صباحها الوشيم، ومن التعظيم غرته،
ومن التكريم زهرته، ومن التفخيم ناصيته، ومن الشرف راييته، ومن المجد
ساريته، لم يدع منها شامخاً إلا ارتقاها، ولا فناً إلا عصره وثناه، ولا قنواً من
الكرم إلا أدناه، ولا زلالاً من اللطافة إلا احتسأه، ولا برداً من الظرافة إلا
اكتسأه، ولا مطرفاً من البيان إلا وشأه، ولا معصماً من المعالي إلا سوراه، ولا
ورداً منها إلا أزهره، ولا مقلة إلا وهي إليه رانية، ولا دوحة إلا وهي عليه حانية،
ولا خلة من الخير إلا وهي إليه منسوبة، ولا مهرة منه إلا وهي له مركوبة،
ولا محمداً إلا وهي ملفوفة في برده، ولا منقبة إلا وهي منتمية إلى زنده،
وبالجملة فهو من الرفعة والمكانة، والنزهة والصيانة، بالمحل الأسمى، والمنازل
التي دونها الهمم ترمى، ومن الرأي والتدبير، بحيث لا يوجد له نظير، أبان الله
سيادته ومقدراه، في البلدة المعروفة بالزبارة، في العام الخامس والتسعين، بعد
المائة والألف من هجرة الأمين، وتربى في حجرة الدلال، إلى أن أدرك الكمال،
ونظرته عيون السعادة، بعد ترديته بأردية السيادة، وقدمه أبوه المقدم، فكمل به

نقص الفضل وتمم، وعقد له عقد الرياسة ونظم، وتفرس في النجابة وتوسم،
فها هو ذا في المحل الأعلى من أجفان العناية، بالغاً من المفاخر كل غاية.

ترجمة الشيخ يوسف بن رزق

وأما (يوسف) فهو ذو فضائل جمّة، تقصر عنها كل همّة، ومحامد
عديدة، زينت من الكمال جيده، ونزلت من سمائه، منزلة بردة ذكائه، ومكارم
لا تحصى بالعدة، قد أترعت كل يفاع ووهدة، وبرزت لحاتم فبهرت عطاياها،
وشهدت بأن الكرم ليوسف لا يتعداه، ولمعن فأدركه الخجل، ولاين مامة فاكتسب
منها ما بذل، وأنشد فيه وارتجل.

تروم أياد أن تكاثر يوسفاً مكارم لا تنفك ذات أياد
وليس لها إلا يدان ويوسف أياديه لا تحصى بعد أياد

لم يزل مذ فتحت عيناه، تشنف بالثناء أذناه، وتتحلى بالإعطاء كفاها،
وتهتز إلى المحامد عطفاه، وتبتسم ثنياه لمن وافاه، ببذل يقصر منه مد
السحاب، ويعجب من زخوره كل عباب، ورأي في المهمات ساطع كالشهاب،
وعزم كالحسام إلا أنه بلا قراب، وهمة ضرغام، تعجز عنه الأيام، ورحاب ليس
عليها حجاب، يردها ضيوف، ربما بلغوا الألوف، عشقته المعالي وهو في مهده،
وحسدته العوالي في شرفه ومجده.

فتى في ذرى العليا يلوح فخاره كما لاح في عليا القناة سنان
ولم تن عن مدّ الندى منه راحة ولم يثن من علياه منه عنان
لكل فتى يبدو مكان لسكنه وهذا له بيت الثناء مكان
له كرم ما صانه برد ضنة وأبيض عرض بالكمال يسان

فهو الجدير بأن يعظم، ويصدر في كل صدر ويقدم، وتلقى إليه من المعالي الأزمة، ويعمل في زيارته كل قدم وهمة، وأن يهتدى به في كل ظلمة، وأن تمتد إلى ثنائه أعناق القصائد، وتتفاخر بالمثل بين يديه الأماجد، وتغبط بجلسته المجالس، وبحكمه المسامر والمجالس.

نمته جدود من عقيل سموا به إلى شرف يسمو السماكين والنسرا
فزاد به عليا عقيل وعزها وفاتت به عن غيرها مضر الحمرا

ولد في الزبارة عام المائتين، بعد الألف فقرت به العين، واستتارت أرجاء بلاده، بشموس سيادته وإسعاده، وهنى أبوه بوروده، وطلوع شمس سعوده، وانهمال سحابة جوده، فما زال يترقى إلى قنن السيادة، متفياً بأفياء السعادة، متأدباً بكل ذي عفة، خلقه النسيم في الخفة، ووجهه الروض في القسامة، وكفه بالجود سيل الغمامة.

يكاد يسيل اللطف من عطف طبعه كسيل سقيط الطل فوق أقاح
إذا افتتر ثغراً في وجوه ضيوفه أراك صباحاً لائحا بصباح

ولما انتقل بالرحمة أبوه، وقصده للتعزية معزوه، وجدوه أجا جلد وصبر، وهمة من دونها همة الدهر، قائماً بوظائف أبيه، قيام أخيه، متلطفاً بخدمة ومواليه، متعظفا بكرمه على راجيه، عاشرته فوجدته في الملاطفة الشمال، وفي المفاكهة الصاحب بل هو أكمل.

ترجمة الشيخ عبدالمحسن بن رزق

وأما (عبدالمحسن)، فإنه البحر الذي لا يقرب من الضنة، ولا يكدر المن إنعامه ومنه، ذو ملاطفة حسنة، ومباشرة لا تعبر عنها الألسنة، وهمة لا تزال إلى المعالي صاعدة، وعزمة عن المكارم غير متقاعدة، ومكارم على ممر الأيام خالدة.

مكارم تجريها يد الخير محسن إذا طلبت جدواه أبصرته معنا
أعز عقيلي رأينا به الندى متى سار معنا جاريا معنا

حسر عن ساعد جده وشمر، فأدرك مآثر أبيه وما قصر، ودأب في
اكتساب المحامد، حتى خيل أنه فيها الوالد، واتصف بأوصاف، من بعضها
المروة والإنصاف، وأوسع فنائه، ليوسع ثنائه، وتزدحم على أبوابه، وأصفي
لمسامع خطابه، ذو أنفة وشجاعة، وإقدام وحزم وبراعة.

بخفة طبع لا يزال يزينها رزانة حلم فوقه ووقار
ووجه غداة البذل يزهو كأنه وجوه رياض زانهن نهار
وعزم كأن العضب باترحده وجاه عليه للفخار إزار
هو البدر إلا أنه غير كاسف هو الشمس والمجد الأثيل مدار
وجوهرة لم يبرز الدهر مثلها ولكن لها منه الكمال محار

وبالجملة فلسان الحصر عن فضله ذو قصور، والكرم وإن نسب إلى
غيره فبالحقيقة عليه مقصور.

لكل امرئ فخر ولكن فخره إذا طلعت أقماره لم يدع فخرا
كشمس الضحى إن تبد لم تبك كوكبا ويبحر طمي زخاره فعلا النهار
فلا تعجبوا من قذفه الدر في الورى فمن عادة القاموس أن يقذف الدرا

ولد في الزيارة كأخيه محمد، فقمطه السعد بقماطه ومهد، وتواترت
الأفراح بطلعته، وأعملت القصائد لأبيه في تهنئته، وسارت الشعراء بالإجازات
عليه أمرا، وقال فيه من قال.

فمن مثل عبدالمحسن القرم وارد ولا كأبيه الخير في العصر والد
فذاك إلى الإعطاء يشب وذا له مكارم في نحر الزمان فرائد

فبقي في أيام والده، يقتفيه في مناهجه ومقاصده، مسروراً بالأخلام،
من الإخوان وبنى الأعمام، يسابق إخوانه إلى الكرم، ويتفاخرون في معالي الأمور
والشيم، إلى أن غابت شمس والده، فصبر تجلداً في عين شامته ومكائده، برز
من الرحم إلى الدنيا، ملحوظاً بالحاظ العليا، عام اثنتين، بعد الألف والمائتين،
وها هو ذا وأحالتها، إليه في المهمات المنتهى.

ترجمة الشيخ خالد بن رزق

وأما (خالد) فإنه ذو مكارم طامية، وعزائم لا تزال في المشكلات
ماضية، ومحامد في أذني الزمان كقرطي مارية، ومعالي أشهر من السنن في
العالية، وشرف له الكواكب السارية سارية، ومجد عمد بالصفاح، وأتد بالرماح،
وعطر أرجه الهضاب والبطاح، وجاء امتد في الطول والعرض، حتى طبق أرجاء
الأرض، وسؤدد البدر عماده، والجوزاء نطقه، والثريا مهاده، ونجابه تحير
الأفكار، ولبابة هي الزهر والبهار، وطلاقة هي الصبح في الأسفار، وعرض هو
في النقا النهار.

نهار وأما طبعه فبهار	طلاقة الصبح البهيج وعرضه
لهن سماء المكرمات مدار	وأما مزاياه فغركواكب
يكلمه بيت له وجدار	يكاد إذا ما أبصر الضيف لائحاً
يجرّ له فوق السماك إزار	كريم عليه للمهابة ملبس
لجين وطوراً جوهراً ونضار	هو البحر إلا أن سائل كفه
وأعطته أعلام الفخار نزار	نمته إلى العليا عقيل بن عامر
له الشرف الضخم التليد سوار	فيا لنجار في الأنام كمعصم
إليك بإيمان العظام يشار	ويا خالد الذكر الذي فوق مجده
يجاريك في سح اليمين بحار	وأشبهت في الإعطا أباك فهل ترى

ولد في إبان سعادة، وأيام مستطابة مستجادة، فنشرت للأفراح الأعلام،
وازهرت من الأنس الأكمام، ونظرت مقل المسرة إلى الأنام، وهنئ به أبوه،
واستغنى بالجوائز مادحوه، وزينت المحافل والمجالس، ونثر الدر على المسامر
والمجالس، ونودي في المعاهد والمشاهد، من رام العوائد، فليهنينا بخالد، فانتالت
الشعراء من كل فج، وشهد ذلك اليوم فكان يوم حج، وطمى فيه بحر أبيه وعج،
وتفاخرت الشعراء بالتهاني، واستغنى عند ذلك القاصي والداني، وفك إكراما
له كل عاني، ومد بساط المكارم، قبل أن تتاط به التمام.

فيا لك مولود بدا نجم سعه بإبان خير ما وجدنا له نداءً
بدا في ليال زانها بجماله كما زين الزهر الكمام والوردا
به افترو وجه الدهر حسنا وبهجة وشد عليه من مفاخره عقدا
لقد فارق الرحم الزكي مقره كما فارق البيض المهندة الغمدا

فما زال يشب إلى المكارم، شباب الورد في الكمام، ويرتفع في المعالي،
ارتفاع السنان في العوالي، يألف كل كريم، ويأنف عن كل لئيم، ذو ثغر بسام،
وفخر واف تام، ومنطق ذا بيان عذب، يتحدر منه كاللؤلؤ الرطب، إن أشبه أباه
في اللسان، فقد أشبهه بعلو الشان، وكرم الأخلاق والبنان.

فلا تنكروا منه مكارم جمه فقد أشبهت يمني أبيه يمينه
فلا عيب فيه غير تقوى وعفة ولطف طباع للكرام تزينه
ومن يشبه الأباء في أي خصلة يدم أبدا منه إليها حنينه

قد برز عام السبع بعد المائتين، والألف، بكل خلق رزين، وقد ذكر لي
عن أبيه، أنه يقدمه على كافة بنيه، فلا بدع أنه في المكارم، هو الكامل الخاتم.

ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن رزق

وأما (عبدالعزیز) فإنه شقيق خالد، معدود على صغره من الأماجد، معروف بمكارم الأخلاق والمحامد، نهاض إلى المعالي غير متقاعد، ذو وسامة، وحدة وشهامة، وكرم لا يوجد في ابن مامة، وطبع أرق من المدامة، وظرافة باهرة، ولطافة هي الأرواح الناشرة، وشراحة هي الغمام الباكرة.

عزائمہ لا ینثنین عن العلا فلا تنکروا أن تبلغ القطب والجديا
ولا تنکروا منه اتساع یمینه بوافر بذل عنه قد ضاقت الدنيا
ومن أحمد السامي أبوه وخالد أخوه لأحرى أن أفضله سعيا
وأن أنظم الدرّ الثمين من الثنا وأجعله في نحر سؤدده حليا

ولد عام التسعة والمائتين بعد الألف، فارتدى برود السيادة والتف، وعظم الهنا إبان ميلاده، ووفى الزمان بإنجاز ميعاده، وصدحت بلابل الفرح، واخضلت غصون المنح، وأزهر روض السعادة، وأسفر بدر المروة والسيادة، وأخذ بحر الكرم بالزيادة، وترنحت أعطاف المسرة، وبدا في وجه الدهر منها أبيض غرة، بقدوم تلك الدرّة، وطلوع شمس المبرة، وتأرجح ریح هذه النفحة، وورود هذه المنحة.

لقد عظمت أفراحنا منذ تبسمت وجوه الدنا من بأبيض ماجد
كريم له فخران فخر بأحمد أبيه وفخر بالمقدم خالد
فما نزلا عن سؤدد يعرفانه ولا صفة محمودة بعد والد
ولا عجب أن يصبحوا ضرمعت ونعمة ذي قريى ونقمة حاسد

هذا وعبدالعزیز وإن صغر سنه، فقد كبر قدره وكثر منه، أبقاء الله إلى أن يبلغ من أماله، غاية أفضاله، ونهاية كماله.

الخاتمة

يقول موشي بروده، وناظم قلائده وعقوده، ومضوف مطارفه، وثاني معاطفه، ومحلي سوائفه، وجاني ثمره، ومنبت زهره، ومطلع غرره، في وجوه أسطره، (الملتجي إلى كرم الصمد، عثمان بن سند)، وفقه الله في القول والعمل، وغفر له الزلل والخطل: قد آن أن أعري يعامل الأقلام، عن تدآب السير في مهامه النظام، وأن أنيخها في مبارك الختام، من كتابي الموسوم: بسبائك المسجد، في أخبار أحمد، ومن له مكارم أصحاب، هم لفلك السيادة أقطاب، ولنحر الفضائل سحاب، خدمت به حضرة أبنائه الكرام، المستحقين نهاية التوقير والاحترام، الشائدين من المعالي قبابها، الشادين بالمكارم أطنابها، المديرين أفلاكها على أقطابها، المبحرين في أوداء الأكف جود سحابها، المعيدين بعد ذبوله غصن شبابها، المسلسلين صحيح أخبارها، المحسنين طرق آثارها، المطلعين في أفقها أنوار أقمارها، الناظمين لآلي تقصارها، المشهورين في قحطانها ونزارها، شهرة ذكاء في رابعة نهارها.

أكارم تنميههم إلى المجد عامر وتسموا بهم يوم الفخار نزار
مقاول أما في الوغى فضاغم أسود وأما في الندى فبحار
فهم الجديرون أن يخدموا بمثل هذا الكتاب، وتقرط آذانهم بجوهر كل ثناء مستطاب.

وإن أناساً قد تساموا بأحمد حريون أن تسمو بهم هامة الشعر
فيا ليلة فوّفت فيها مديحهم أنيري لعيني تحسبي ليلة القدر
فدونكم سبائك عسجد، وفرائد في سلك البيان تنضد، وخرائد حسان، اختلستها من يد الزمان، وعقود جمان، نظمتها يد البيان، وعرائس أفكار، زفتها يد الابتكار، وزهرات فؤاد، أنضر من زاهرات الأوراد، وبنات ذكا، أنور من ذكا، وعذارى سطور، أفخر من ربّات الخدور.

عذارى قريض ما تخدرن عن ذكا وإن حجبت يوماً بخدر سطور
تبهرج في زي المديح ولم تعب فيا لعذارى لم تعب بظهور

فجدير بها أن تفخر، على منظم الجواهر، وأن تكون لها المكانة، على
السلافة والريحانة، لما انطوت عليه من أوصاف والدكم الحميدة، وذكر أحواله
التي لم تزل سعيدة، ونشر مكارمه ببنان كل قصيدة، فهي وإن اختلست من
يد الزمان، جدير أن يضم عليها بالأجفان، وأن تشنف بها كل سمع، وأن تكتب
بمداد هو الدمع.

فإن تقبلوها فهي كفو كريمة ووالدكم بعل لها وهو الفخر
وإن ترجعوها بعدما وصلتكم فما هي إلا غادة خانها الدهر

فالمأمول ممن وقف على هذه العجالة، واستصبح بنور هذه الذبالة،
وارتشف من هذه الزلالة، أن ينظرها بعين الإنصاف، ويسلك منهج الاعتذار
عما فيها من الخلاف، فأبي مقال، ثبت له كمال، وأنا أحمد الله على الإتمام،
وأصلي مع السلام، على أشرف الأنام، وآله وصحبه الفخام، ما حبرت مطارف
الختام.

تم بحمد الله طبع كتاب سبائك العسجد، في أخبار أحمد نجل رزق
الأسعد، تأليف الإمام الأوحى، والعلامة المفرد، الشيخ عثمان بن سند البصري،
رحمه الله بمنه وكرمه، وقد اشتمل هذا الكتاب على تراجم أعيان البصرة،
ومشايخ الزيارة والبحرين والكويت، وبعض أعيان نجد والبلاد العراقية، الذين
كانوا في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية، وما تضمنه من إيراد
فضائلهم السنية، ومحاسنهم الفاتقة البهية، وقد جرى طبعه بمطبعة البيان،
الكائنة بمومباي، مشمولاً بنظر مالك المطبعة، حضرة السيد: محمد رشيد،
ابن المرحوم السيد داود السعدي، على ذمة صاحب الفضيلة الأبدية الباهرة،

والهمة العلية الفاخرة، حضرة الشيخ عبدالله أفندي العباسي، الشهير بباش
أعيان، دام كما رام، وبلغ ما شاء بعون الله الملك المنان، وكان الإتمام على هذا
النظام، في الخامس عشر من شهر محرم الحرام، سنة ثلاثمائة وستة بعد
الألف، من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

وعظم وشرف وكرم



فهرست

كتاب سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد

١١	خطبة الكتاب المستطاب
١٩	ذكر أحوال الشيخ أحمد بن رزق
٢٩	الكلام على بلدة الكويت
٢٩	ترجمة عبدالله بن صباح شيخ الكويت
٣٠	ذكر انتقاله من الكويت إلى الإحساء
٣١	ترجمة خليفة شيخ البحرين
٣١	الكلام على بلدة الزبارة
٣٤	ترجمة الشيخ علي بن فارس
٣٦	ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن موسى
٣٩	ترجمة الشيخ راشد بن خنين
٤٨	ترجمة الشيخ عبدالله الكردي البيتوشي
٥٩	ترجمة الشيخ محمد بن عبداللطيف الأحسائي
٦٩	ترجمة الحاج عثمان بن داود البصري
٧٢	ترجمة الشيخ ناصر بن سليمان بن سحيم
٧٥	ترجمة الشيخ عبدالله بن عثمان بن جامع

٧٦	ترجمة الشيخ عثمان بن جامع
٧٨	ترجمة الحاج بكر لؤلؤ البصري
٨١	ترجمة الشيخ أحمد بن درويش البصري
٨٥	ترجمة السيد محمود الرديني
٩٠	ترجمة السيد رجب نقيب البصرة
٩٣	ترجمة عبدالله أفندي الرحبي قاضي البصرة
٩٥	ترجمة عبدالله آغا متسلم البصرة
٩٨	ترجمة السيد عمر أفندي دفتر دار البصرة
٩٩	ترجمة سليم آغا متسلم البصرة
١٠٢	ترجمة الشيخ عبدالله بن داود النجدي
١٠٥	ذكر علي باشا كتحدا بغداد
١٠٦	ترجمة محمد بك الشاوي البغدادي
١٠٨	ترجمة الشيخ صالح بن سيف النجدي
١٠٩	الكلام على بلدة جو من البحرين
١١٠	الكلام على مدينة البصرة
١١١	ذكر نزول الشيخ أحمد بن رزق البصرة
١١٤	ترجمة الشيخ محمد بن سلوم
١١٦	ترجمة عبدالمحسن بن مسلم
١١٦	ترجمة سليمان بن حمد
١١٨	ترجمة محمد بن سيف النجدي

١١٩	ترجمة الحاج يوسف بن زهير
١٢١	ترجمة الشيخ إبراهيم بن جديد
١٢٢	ترجمة الشيخ محمد بن فيروز
١٢٣	ترجمة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف
١٢٣	ترجمة الشيخ محمد بن عفالق
١٢٤	ترجمة الشيخ أبو الحسن السندي
١٢٦	ترجمة الشيخ عبدالوهاب بن محمد بن فيروز
١٢٧	تراجم آل عبدالرزاق
١٢٨	ترجمة الشيخ إبراهيم آل عبدالرزاق
١٢٩	ترجمة الشيخ عبدالوهاب آل عبدالرزاق
١٣٠	ترجمة الشيخ سالم عبدالرزاق
١٣٠	مرات في الشيخ أحمد بن رزق
١٣٨	تراجم أبناء الشيخ أحمد بن رزق
١٣٩	ترجمة الشيخ محمد بن رزق
١٤٣	ترجمة الشيخ يوسف بن رزق
١٤٤	ترجمة الشيخ عبدالمحسن بن رزق
١٤٦	ترجمة الشيخ خالد بن رزق
١٤٨	ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن رزق
١٤٩	الخاتمة

